الفهرس

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

الإدارة

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٦٠٨ | الاثنين ٧ من ذى القعدة سنة ١٣٦٩ — ٢١ من أغسطس سنة ١٩٥٠ | السنة الثانية عشرة

فى السياسة الدولية :

قضية السلام فى العالم

للأستاذ أحمد طه السنوسى

... بعد الحرب العالمية الثانية وضع المستر إمرى ريفس كتاباً دعاه « قضية السلام » كان له تأثير بالغ فى حياة العالم ؛ لأنه يبحث قضية تجول فى أذهان الغالبية الساحقة من الناس ، وتستحوذ على لب المفكرين والسياسيين ، والداعين إلى خير الإنسانية ، والمحافظة على سعادة الإنسان وسلامته . على أن الفكرة التى دار عليها محور حديث المستر ريفس فى « قضية السلام » فكرة من البساطة والسهولة بمكان ؛ ذلك لأنه رأى أن تلك الوسائل الكثيرة التى تستخدمها الدول والأمم لقيام السلام وتدعيمه والمحافظة عليه قليلة الجدوى ، ولن تغنى غير الإخفاق التام تجاه امتناع قيام الحروب ومنافيات السلم فى أرجاء المعمورة .. والمحاولة التى تقوم لا شك مخفقة ، والوسيلة التى يعمد إليها لا ريب خاسرة ؛ لأن هنالك عاملاً سياسياً هاماً كل الأهمية ، يبتلع قصارى الجهد لإخفاق الوسائل وضياع المحاولات ، هذا العامل هو السيادة القومية فى بلاد العالم ؛ فهذه الأمة تتمتع بقومية كاملة ، وتلك الدولة تتمتع بسيادة مطلقة ، وهذا يؤدى إلى التمسك والتذرع من جانب كل أمة ، ومن جانب كل دولة ، وكل من هذه وتلك ترمى إلى مصلحتها أول ما ترمى ، ولو طوحت بمصالح الأخرى ، وتسعى لإرضاء شهوة السيادة المطلقة فى نفسها ، ولو كان فى ذلك ذهاب لسطوة غيرها ، وضياع لاعتبار دول العالمين . يترتب على ذلك كما لا يخفى على كل لبيب أن تحدث الفوضى والتذمر فى علاقات الدول بعضها بالبعض ؛ فيكون ذلك سبيلاً لقيام الحروب ، وارتباك الأحوال ، وقصم ظهر السلام ...

فالذى ذهب إليه المستر ريفس هو أن تتخلى الدول عن هذه القومية الكاملة والسيادة المطلقة ، وتفويض أمر تلك السيادة والقومية إلى قانون عالمى ، وإلى نظام دولى ؛ والقانون يحسم ويمسك بالزمام ، ويحد من السيطرة والشرود السياسى ، ويقبض على ناصية الأحوال ، ويوجه العالم إلى رائدها الموضوع ، وإلى غاية المجموع ، التى هى دون ريب هدف السلام ...

والمعاهدات التي تعقد بين الدول لا تستطيع أن تنظم علاقات الأمم، وليس في وسعها أن تحافظ على السلام؛ ذلك لأنها غالباً ما تكون مزعزعة، وكثيراً ما يدب فيها الوهن، ويتسرب إليها الضعف، وتنحسر عنها دقة التنفيذ؛ فقد تمليها ظروف خاصة، وقد تضيعها ظروف أخرى، وقد تقيمها وجهات معينة، وقد تطوح بها أحداث جديدة، وقد تهب بها ريح، ثم تؤازرها أرواح، وقد تذروها الرياح...

وعلى هذا، فهي غير صالحة لأن تكون أساساً للسلم، أو سبيلاً لتنظيم العلاقات الدولية إلا لوقت خاص أو ظرف معين، أو في بيئة محدودة، أو لغرض موقوت... أما الذي يستطيع أن ينظم العلاقات وضع برامج وقواعد الدول والمحافظة على وثيق الأمم ألا ينقطع وألا ينفصم، وأما الذي في مقدوره أن يقيم دعائم السلام وألا يخل بها ولا يرضى بديلاً فهو «القانون»... أجل... القانون، ولا شيء غير القانون...

فالخطوة التي يتعين أن توجه يجب أن تسعى أولاً إلى إقامة حكومة عالمية تقوم على أساس القانون ونظام القانون، وتدع المعاهدات جانباً؛ لأن التذرع بها خطل، والتمسك بها عقيم، نظراً لما يحوطها من وهن، وما يلابسها من ظروف، وما يحف بها من تناقضات وملابسات وتسويات ومغالطات...

ويمضي ريفس في كتابه مع الرأسمالية حتى يتوصل معها إلى إخفاقها، ويسير مع الاشتراكية فيفضي بها إلى فشل ذريع، وينظر إلى الدبلوماسية ويتحقق من عقمها، ويوجه الدين إلى الوجهة العالمية كما خلق له، ويصل في النهاية إلى النتيجة التي وضعها وارتآها، وهي أن مسألة السلم في هذا الزمان رهن بقيام نظام قانوني يستعلي على الدولة القومية، ويستوجب ذلك منا أن نأخذ من سلطات السيادة في هذه الدول القومية القائمة جانباً لنستقله في الهيئة العالمية أو لنسنده إليها ونكله لها، أو بالأحرى قيام حكومة عالمية في استطاعتها أن توجه الشئون العالمية طبقاً لقانون عالمي تضعه سلطتها وينفذها، وأساسه وهدفه السلم الدائم في أرجاء العالم...

* * *

.. وفكرة الحكومة العالمية فكرة باتت بالية ولاقت كثيراً من النقد وعاصفة من المواجهات، بل إنها لن تستطيع أن تقوم في الواقع؛ لأن هذه الحكومة ستحول سلطة تستعلي بها على السلطة الداخلية والسيادة القومية في داخل بلاد العالم؛ وهذا إن صح أن نتصوره في بعض الدول الصغرى، فإن الدول الكبرى لا تسلم به بأي حال من الأحوال مهما كانت جاذبية الفكرة وجاذبيتها وجدواها، سواء أكانت هذه الدول شيوعية أم رأسمالية؛ فهل يستطيع إنسان أن يصدق أن روسيا تسمح بسيادة حكومة على سلطتها الداخلية أو على سلطتها الشخصية التي تقوم على أساس الشيوعية؟.. إن هذا لا يحدث إلا إذا كان أساس الفكرة أن تكون هذه الحكومة حكومة اشتراكية تتعهد بنشر الشيوعية في العالم وتعمل على نشرها.

وهل الظن أن بريطانيا توافق على سلطة تستعلي على سلطتها وسيادتها وتوجهها التوجيه الذي تريده؟.. إن تاريخ بريطانيا ينكر ذلك كل الإنكار، وهذا على وجود نفسية وروح خاصة للشعب البريطاني منذ القديم، هي المحافظة على حرية الفرد وسيادة القومية الوطنية دون استعلاء أي سلطة أو نفوذ عليها.. ولا نعد التاريخ القديم، فأمامنا الأيام الحاضرة، وموقف بريطانيا من مشروع شومان Shuman معروف، فهي ترفضه بالرغم من وجاهته وجدواه في الظروف الحاضرة؛ لأنه يخلق سلطة فوق سلطتها الداخلية وقوتها القومية...

* * *

يقول المستر ستيتينيوس الذي كان وكيلاً لوزارة الخارجية الأمريكية: «ما من حكومة رضيت عن الميثاق كل الرضى، وقل من الناس من رضى عنه، ولكن الأكثرية تؤمل أعظم الأمل أن يتم تحسين الميثاق على التدريج، بحيث يصبح

هيئة الأمم المتحدة أقرب شيء إلى حكومة عالمية متحدة، وتحقق هيمنتها على الديمقراطية الغربية، إذا ما أمكنت المحافظة على السلم في السنوات القليلة القادمة، وهي فترة الانتقال بعد الحرب الأخيرة، وأنا أومن إيماناً قوياً بأن الهدف الذي يجب أن ترمي إليه الأمم هو أن تعمل في النهاية بصورة هيئة الأمم المتحدة إلى إقامة حكومة اتحادية عالمية تقوم على القانون وتتمثل فيها المبادئ الحقة للديمقراطية الدولية »(١).

ولكني هنا إن جاز أن أنسبه فلا أستطيع إلا أن أقول إنه توفيق فقط، لأن صيغة هيئة الأمم المتحدة لا توجد بها أية ناحية تمثلها الحكومة العالمية إلا من وجوه قليلة، ونحن لا نستطيع أن نسلم أن هيئة الأمم تعدو في طريق إنشاء حكومة اتحادية عالمية نظراً لاعتبارات عامة، كحق الاعتراض (الفيتو)، وكتلة الخلاف بين دولها من شيوعية وديمقراطية، وكتكتلات الدول الكبرى المحافظة قبل كل شيء على مصالحها الخاصة دون تعديل أغراضها السياسية تجاه البلاد الصغرى...

* * *

بيد أن المرء حين يستطيع أن يصل إلى ما انتهى إليه المستر ريفس في كتابه « تشريح السلام » من أن غاية السلام لا تتحقق في العالم إلا بقيام حكومة عالمية، بأن هذا الزعم خيالي أكثر منه عملي حين يواجه الحقيقة الواقعة، لا يستطيع أن يطوح بمثل ما ذهب إليه، فأهم شيء أن تعدل الدول الكبرى أول ما تعدل هذا التكالب على مصالحها الخاصة دون اعتبار لمصالح الدول الصغرى ودون إنصاف لقضاياها.. إن السكوت والمماطلة السيئة لهذه الدول لن تمكث طويلاً ولن تمر على الأمم دون أن تحدث لها نتيجة وأثراً، وهذا التناسي عن قضايا الدول الصغرى وإنصافها من الدول الديمقراطية الكبرى هو العامل الأول الذي مهد لانتشار الجيش الأحمر في الدول الصغرى بل والدول الكبرى نفسها، وعمل على نجاحه فيما وكل إليه من أعمال وما كلف بنشره من مبادئ، كما كان العامل الهام الذي حدا بالنفوذ الشيوعي أن يتوطد في البلاد الصغيرة التي تعدو رويداً من المعسكر الشيوعي.. ولا تلومن الدول الديمقراطية إلا نفسها إن رأت أمامها نتائج سيئة ما كانت تنتظرها في جو البلاد الصغرى؛ لأنها هي المسئولة أولاً وأخيراً عن هذه النتائج، بل هي التي دفعت إليها من حيث لا تشعر...

إن الدول الديمقراطية يجب قبل أن تقدم على توطيد دعائم السلام أو أن تسعى إليه، أن تضمن الدول الصغرى إلى جانبها تآزرها معها بنفوذها الأدبي والسياسي وما إليه، لأنها بذلك تقيم العالم الديمقراطي بأجمعه تجاه المعسكر الشيوعي الذي لا شك أنه لن يساوي تجاه هذه الكتلة الضخمة، مع التقى معه بكل صنوف السياسة والكياسة والدبلوماسية والتوفيق حتى يهدأ ويستكين، ويجد أن أهم ما يعتمد عليه وهو الطابور الخامس في الخارج قد وهن ضعفاً لتحسن العلاقات بين الدول الكبرى الرأسمالية وبين سواها من الدول الوسطى والصغرى في عالم الشرق!..

أحمد طه الشرسي

(١) عن نسخة عربية لأحمد أمين الزمرد وغيث.

جناية التراث اليوناني

على الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

هدفت فرق القرامطة والباطنية من بين فرق الشيعة إلى التشهير بشعائر الإسلام وتعاليمه ، وتهديد أركان الدولة العربية . فهي لذلك تعد بداية أفكار سرية لاذ بها العلويون المضطهدون ، والفارسيون الساخطون ؛ فاختلطت فيها أهواء العلويين في طلب الحكم بنوازع الفارسيين في بعث تراثهم الديني ، وإحياء حضارتهم ، حتى صارت مرتعاً خصيباً لتنفس الهم ، ألقت في بعض النفوس بمبادئ متطرفة ضالة ، حضت على الالتجاء إلى أساليب الفتك ، واستخدام قوى الفكر في تنفيذ مآربها الخطرة على المجتمع العربي .

ويرجع اضطهاد العلويين ، وسخط الفارسيين إلى عهد يعد في القدم إلى صدر الدولة الأموية ، إذ نظر خلفاؤها إلى العلويين على أنهم ثوار يتآمرون على قلب حكمهم ، فأباحوا دمهم ، ولم يتورعوا من قتل الحسين بن علي ، والفتك بآل بيت رسول الله في ساحة كربلاء ، كما أخذوا في قتل كل من تسول له نفسه طلب الحكم لآل علي بن أبي طالب ، وأخمدوا ثورات الشيعة بكل غلظة ووحشية ، مما دعا رجال الشيعة تحت ضغط هذا الإرهاب الهمجي إلى تحويل حركتهم التي تسعى لتولي خلافة المسلمين ، إلى دعاية خفية مستترة لتأمن شر الحكام ، ولم يرحم العلويين من هذا الإرهاب المتواصل إلا إعلان الفارسيين الحانقين الثورة على بني أمية ، الذين أذلوا كرامتهم ، وحطوا من قدرهم ، وأبعدوهم عن المناصب الهامة في الدولة ، فكرهوا الحياة في ظل خلافتهم ، وقام أبو مسلم الخراساني بثورته المعروفة ، فقربت قسوة الخلفاء الأمويين بين العلويين والفارسيين ، وتعاونا معاً في محاربتهم ، وإن كان غرض كل من الفئتين يختلف عن الآخر في هذه الحادثة ، إلا أن ذلك لم يقف دون توحيد جهودهما في سبيل إزالة سلطان دولتهم الطاغية الباغية .

ولئن كان غرض العلويين من مقاومة بني أمية هو تولي خلافة المسلمين ، فإن غرض الفارسيين الظاهر في ذلك الوقت ، هو طلب حسن الرعاية ، وحفظ الكرامة الفارسية ومساواة الفارسيين بغيرهم من الشعوب الإسلامية . وكانت رغبة الفارسيين في تحقيق مساواتهم بالعرب على الخصوص من القوة بحيث أشعلت نيران ثورة أبي مسلم الخراساني ، الذي أمعن في فهم مختلف التيارات التي تتضارب في الحياة العربية ، فاستغل لإنجاح ثورته دعوة عريضة ، تطلب الخلافة لشخص صاحب الرسالة الإسلامية ، فلاقت رواجاً واسعاً بين جميع طوائف المسلمين ، إذ كيف يتولى أمر الحكم في الإسلام من لا يتصل بصلة رحم برسول الله ، فوجدت هذه الثورة تأييداً عاماً ، وساعد على انتشارها في ربوع العالم الإسلامي بنو العباس وهم من أقرباء نبي الله ، وكانوا يدعون سراً لتوليهم مناصب الحكم ، وارتاح إليها الفارسيون الذين ذاقوا مر الهوان من تعسف الاستبداد الأموي ، واغتبط لها الشيعة لأنهم أدركوا أن ساعة تولي أئمتهم خلافة المسلمين قد حانت .

وما إن طوح أبو مسلم الخراساني بالدولة الأموية ، حتى تردد العلويون في تربع كراسي الحكم ، لأن الأهوال التي عانوها أمس ألزمتهم الحذر والحيطة . ولما آلت الخلافة إلى العباسيين ، سخطوا عليهم ، ورأوا أنهم أولى منهم بها ، وقاموا بثورات عديدة في وجه خلفاء بني العباس ، ولكن قضي عليها بسهولة ، واضطر العلويون إلى أن يعودوا إلى أساليبهم السرية ، بينما لم يهتم الفارسيون كثيراً بتولي

العباسيين دون العلويين ، لأن العباسيين والعلويين جميعاً من أقرباء رسول الله ، وكل ما يطمعون فيه هو أن يحظوا بالمساواة بالعرب ، ويعاملوا بالحسنى ، ويرد إليهم اعتبارهم وهيبتهم ، ويتحرروا من ضغط الحكم الأموي . وقد كفل العباسيون لهم تحقيق هذه المطالب . ولكنهم بقوا بعد حين بمصرع أبي مسلم الخراساني على يد أبي جعفر المنصور . فغضب أهل خراسان ، وقامت عدة ثورات متتالية ، أخطرها ثورة سنباذ ، الذي أراد أن يكتسح المملكة العربية ، حتى يصل إلى الكعبة الشريفة ويحطمها انتقاماً لقتل أبي مسلم ؛ ولكن جيوش المنصور أوقفته عند حده . ولم يكد ينسى الفارسيون هذه الفاجعة ، حتى فوجئوا بنكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد ، فحدثت هذه الحادثة الأليمة الأضغان وجعلتهم لا يطمئنون إلى العرب ، سواء أكانوا أمويين أو عباسيين . وأخذت تنتاب نفوسهم مراقب تطلب الثأر ، وتراود عقولهم أفكار تسعى بالانتقام . حتى إن يعقوب بن الليث بعد أن استولى على فارس ، عزم على أن يفتح بلاد مصر ، ويثأر لآل برمك ، ويخلع الخليفة العباسي ، ولكن المنية وافته قبل أن يشرع في هذا الأمر .

وهكذا ضاق العلويون ذرعاً بحكم الأمويين والعباسيين معاً ، وكره الفارسيون طغيان الأمويين ، وارتابوا في دوام حسن رعاية العباسيين لهم . وكما عضدوا العلويين صراحة في قلب الحكم الأموي ، ساعدوهم سراً في نشر دعوتهم ضد خلافة بني العباس ، حتى لا ينكشف أمرهم فيتعرضوا للاضطهاد أو يستهدفوا للأخطار . وكانت فرق الشيعة هي الخلايا السرية ، التي كانت تجمع بين عرب ساخطين على الحكام لاعتقادهم أن أئمة آل علي أحق الخلق بخلافة المسلمين ، وبين فرق أدخلهم الفتح العربي ، فقبلوا تعاليم الإسلام وهم في غيبوبة لم يفيقوا منها إلا بعد أن اشتدت قوة الأمويين عليهم ، وطال أمد احتقارهم لجنسهم واعتزازهم بعنصرهم العربي . وما إن زالت خلافة بني أمية وجاء العباسيون حتى تيسرت لهم سبل الاشتراك في الحكم ، وتولوا أعلى مناصب الدولة وأهمها ، فأخذت روحهم المعنوية تنتعش تدريجياً ، واقوى شوكتهم شيئاً فشيئاً . فأحسوا أخيراً أنهم محكومون بعد أن كانوا حاكمين ، وأن حضاراتهم وثقافتهم ودياناتهم تلاشت ، وطغت عليها الحضارة العربية والثقافة الإسلامية ، فلم يستطيعوا مقاومة انفعالاتهم القومية في استعادة مجدهم البائد وبعث ثقافاتهم الزائلة وإحياء دياناتهم من جديد .

وهكذا أخذت تقوى نزعة الفارسيين المتطرفين نحو تحقيق استقلال الوطن الإيراني عن الإمبراطورية العربية ، خلف صورة رغبة الانتقام من الحكام العرب والسلطان الإسلامي ، وأخذت تتجدد آمالهم في بعث التراث الإيراني ، في صورة الطعن في الإسلام ، وانتقاد طقوسه ، ومحاربة تعاليمه في تعابير إيرانية عقلية . وأصبح الفارسيون الموجه الأول لسياسة الفرق الهدامة في الإسلام . فأخذوا في تأييد دعوة الشيعة في طلب إمامة المسلمين بالأفكار الفارسية ، وطالبوا لأنفسهم الحكم كستار لاستعادة نفوذ الفرس على إيران ، كما انتسبوا إلى غير صفوف العرب ، وادعوا أنهم من نسل علي ، وطالبوا بالخلافة لأنفسهم . وبدأت فرق القرامطة في سوريا والبحرين والعراق ، وفرق الباطنية في فارس تنفذ سياستهم ، مع اتخاذ وسيلة من وسائل الثورة على العرب والإسلام لم تسلكها ، فلم تتوان في استخدام العنف ما وجدت إلى ذلك سبيلا ، كما برعت في استغلال الفلسفة والأساليب العقلية لنشر تعاليمها بين المسلمين .

ويبدو العنف في جرأة القرامطة التي بلغت حد الاستخفاف بالسلطات الحاكمة ، فلم تتورع عن السطو على البصرة والكوفة وغيرهما من البلاد العربية ليلاً ، ولم يشق عليها سلب الأموال وقتل الأنفس وسبي النساء ، بل إنهم لم يحجموا عن إبداء الصياح في دعايتهم وقلاقلهم ، وسولت لهم أنفسهم أخيراً غزو مكة المكرمة يوم التروية ، وقلعوا الحجر الأسود ، ونهبوا كسوة الكعبة الشريفة ، وحققوا جزءاً من الحلم الذي كان يراود سنباذ في تحطيم الكعبة ، وكشفوا عن حقدهم الدفين لأقدس رمز يعتز به الإسلام . ولم تختلف طرق الباطنية الشيعة عن طرق القرامطة ، فقد كانوا يعمدون إلى الاغتيال ، وقطع الطرق ، واغتصاب الأموال ،

كما كانوا يستولون على القلاع الحصينة ، ويهددون سلطان الخلفاء ، وجميع هذه الأعمال تنطق بالتحدى السافر للخلافة الإسلامية ، وتفصح عن رغبات قومية مكبوتة ، تفنى عنها أساليب فوضوية آثمة ، ثم عن عجز يقصر دون الوصول إلى الحكم والسلطان بالطرق المشروعة ، فلجأت إلى العنف والثورة .

إلا أن أساليبهم العقلية كانت أخطر بكثير على العقلية العربية والمجتمع الإسلامى ، من خطر الفتن التى كان يثيرها القرامطة والباطنية من حين لآخر ضد الحكم العربى ، لأنها كانت تحاول أن تستميل النفوس ، بالغش والخداع ، وتثير الشك والحيرة فى العقول ، وتزيغ قلوب السذج ، وتقضى على الائتلاف الدينى الذى تقوم عليه الحضارة العربية ، لتدفع السذج للانضمام إلى فرقتهم ، وتحثهم على اعتناق أفكارهم المعادية للإسلام وتحضهم على نشر دعوتهم فى ربوع العالم الإسلامى . ولقد لجأت كما لجأ كل مفكر حاول أن يحارب الإسلام إلى الفلسفة اليونانية ، واتخذت من مناهجها العقلية الاستدلالية معولا لهدم الأسس التى قام عليها الإسلام ومبادئه . كما استعانت بطرق [illegible] إظهار لا معقولية تعاليم الدين الإسلامى ، واتبعت طريقة الرازى فى تفضيل الفلسفة على الدين ، لتجعل كلا الفلسفة والعقل تعلو على كلا الدين والوحى .

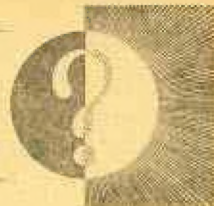
ولدعاة القرامطة والباطنية طرق غريبة فى ترويج مذاهبهم ، إذ يندس هؤلاء الدعاة بين الطبقات الدنيا من الشعب ، ويلقون عليهم ألوانا كثيرة من الأسئلة المحرجة ، التى يشق فهمها على الجهلاء ، وتحير ألباب السذج ، الذين يغيب عنهم مكر هؤلاء الدعاة ، الذين يقصدون من وراء هذه الأسئلة أن يظهروا لهم ما هم عليه من جهل ، ويبينوا لهم سعة أفق أئمتهم ، ومعرفتهم بأحوال الكون ، واطلاعهم على أسرار تعاليم الإسلام وخفايا أحكامه ، بأن يطالبوهم مثلاً بتفسير ظاهرة ثبات أهداب الإنسان على جفنيه ، ونباتها على جفن واحد فقط عند سائر الحيوانات ، أو يطالبوهم بتعليل غسل جميع البدن بسبب خروج قطرة منى ، وغسل أجزاء منه فقط بسبب البول ، بالرغم من أنهما يخرجان من موضع واحد ، أو يطالبوهم بتبرير عدم قطع فرج الزانى كما تقطع يد السارق ، حيث إنهما جميعاً آلة الجناية . فإذا ما عجز هؤلاء العوام عن الإجابة ، يخبروهم بأن من يعتنق مذهبهم يطلع على كل هذه الأسرار من أئمتهم . ولا ريب أن هذا النوع من الأسئلة يثير العقول الساذجة البسيطة ، ويبلبل أفكارها ويدفعها لطلب معرفة ما يغمض فى الكون من غموض ، وما فى الإسلام من تناقض ، حتى لا تبقى فى حيرة مقلقة . لا تجد ما يبرر تغاير الظاهرات الطبيعية ، ولا تعثر على ما يوضح لا منطقية أصول الإسلام من عبادات وشرائع ، فتسعى للانضمام إلى سلك هذه الفرق ، لتعرف ما يغيب عنها من أحوال العالم ، وتدرك ما يستعصى فهمه فى الشريعة الإسلامية ، من كبار أئمة القرامطة والباطنية ، الذين كشف الله تعالى لهم سره ، ومنحهم القدرة على فهم غوامض الكون ، ويسر لهم تأويل آياته ، حتى [illegible] ، وتذهب حيرتهم ، وينعموا بالاستقرار [illegible] .

ولا [illegible] من العلم الذى استقوه من الأئمة ، إلا بعد أن يؤدى المسترشد العهد بألا يفشى [illegible] ، ويدفع قدراً محترماً من المال . ويبدأ الدعاة الملقين المسترشد بمدح الشريعة الإسلامية ، وإعلاء قدر رسول الله ، حتى يكسبوا ثقته ، ويركن إليهم ، ثم يستدرجونه عن طريق تأويل الآيات القرآنية تأويلاً يتفق مع تعاليمهم وأغراضهم ، إلى إسقاط فرائض العبادات ، ويذكرون له أنها شرائع وضعها الأنبياء حسب حاجة الدهماء ، وأنها لا تليق بخاصة القوم من أصحاب العقول الكبيرة ، ثم يقودونه إلى تحقير الكتب المقدسة من توراة وإنجيل وقرآن لتعارض شرائعها ، ويدفعونه إلى الطعن فى النبوة بأن يبينوا له كيف أن الأنبياء يكذب بعضهم بعضاً ، وينسخ كل منهم ما جاء به الآخر ، ويوهمونه بأن الوحى ما هو إلا صفاء النفس ، ويحرضونه على إنكار المعجزات ، لأنها تقوم على أساس غير [illegible] ، ويشوقونه إلى الفلسفة ، ويرفعون منزلة الفلاسفة فى نظره إلى مرتبة تعلو

مرتبة أنبياء الفحاء والزعاع ، لأنهم رسل الحانة ، ثم يقدونه آخر الأمر مفاهيم الفلسفية ، وهى مزيج مشوه من أفكار عنصرية وأفلاطونية محدثة تستعير تعابير إيرانية وتحاول أن تضفى عليها مسحة إسلامية .

وبهذه الطرق التى لا يشك أحد فى أنها تطبق تطبيقاً عملياً آراء ابن الراوندى والرازى ، وتعتمد على أساليبهما الجدلية ، استطاعت أن تشيع الزيغ فى قلوب المسلمين ، وتضعف من وازعهم الروحى ، وتملأ النفوس بوسوسة تفت فى عضد الائتلاف الدينى الذى تقوم عليه الخلافة الإسلامية ، وأن تمد العقول لتقبل مجموعة من المذاهب الحلولية معبر عنها بألفاظ إيرانية ، لم تجد المحاولات فى صبغها بصبغة إسلامية ، وما كنا نستطيع أن نعيب على مثل هذه الفلسفات لو نجحت فى مزج أفكار اليونان بأفكار إيران ومبادئ الإسلام مزجاً كيماً ، وابتكرت مذاهب جديدة تنم عن نزعة تشجيعية لتقدم رقى الفكر الإنسانى وازدهار الحضارة — وإنما إخفاق هذه الفرق فى إدماج هذه الأفكار فى جو صحيحاً فى التجديد بها ؛ وإن دل على شىء فإنما يدل على أن الأفكار غير المتجانسة لا سبيل لأمتزاجها ، بل إن النجاح بتداخل التراث اليونانى فى حياة العرب الدينية ، أدى إلى أنه تبنى الميول المنحرفة ، واحتضن النزعات المتطرفة ، وزود العقول الثائرة والنفوس المتذمرة بأساليب منطقية ، دعت إلى ضرب من ضروب الإلحاد المقنع ، الذى أفسد مزاج كثير من المسلمين التابعين ، وشغلهم عن التفكير القويم الذى ينمى الاستعدادات ، ويقوى الواعي ؛ هذا فضلاً عن أن الدور الخطير الذى لعبته الفلسفة اليونانية فى ذلك النضال الحاد الذى قام بين المسلمين وأتباع القرامطة والباطنية ، قد منع امتزاج الثقافات الفارسية ، التى أرادت أن تشق طريقها فى العالم الإسلامى ، بالثقافة العربية ، لأن الفلسفة مدت كلا من الثقافتين بأسلحة عقلية ، أخذتا تتراشقان بها ، حتى بعدت الشقة بينهما ، وأصبح من المحال التوفيق بينهما ، بالرغم من أن مقوماتهما متجانسة ، وروحهما واحدة ، وأن بينهما وبين التراث اليونانى تفاوتاً عميقاً فى الاتجاهات ، ومفارقات دقيقة فى النزعات ؛ ومع ذلك لم تسلم العقول الإيرانية من الطعن فى الإسلام متذرعة بالتراث اليونانى ، وإن كان للظروف السياسية والاجتماعية دخل كبير فى هذا الطعن ؛ إلا أن الفلسفة الإغريقية وطدت الاتجاهات الضارة فى النفوس ، ودعمت الأفكار الهدامة فى العقول ، وبررت محاربة الإسلام تبريراً منطقياً ، كما ساعد على تنفير العقول العربية من الثقافة الفارسية ، حتى استحكم الخلاف بينهما ، واستحال تكوين ثقافة روحية مبتكرة ، تجمع بين مبادئ الإسلام وتراث إيران ، مع أن التاريخ يشهد بأن تزاوج الثقافات المتجانسة ينبعث منه نبع من الفكر الخصيب القادر على الخلق والإبداع .

عبد العزيز محمد الزكى



كيف

طرائف عن القمر

للأستاذ جمال الدين محمد موسى

الحديث عن القمر حديث حلو جميل ، يحمل طابع الطرافة والمتعة ، وسأحاول فيما يلي أن أعرض على القارئ بعضاً من الطرائف عن هذا التابع الفضي الذي كثيراً ما تغنى به الشعراء والهواة العشاق .

***

سفر في ثمانية أشهر :

إن القمر هو الوحيد من بين جميع جاراتنا السماوية القريب منا ... ولكن هل هو قريب حقاً ؟!

دعنا نتدبر الأمر ... لنتصور أننا أنشأنا خطاً حديدياً بين الأرض والقمر فكم ترى يلزم لقطار سريع لكي يقطع المسافة بين كوكبنا وذلك التابع ؟؟... إنه يحتاج إلى مائتين وأربعين يوماً أي حوالي ثمانية أشهر لتقطع هذه الرحلة إذا سار بسرعة ألف ميل في اليوم ...!!

كرة قزم قطرها ٢٠٠٠ ميل :

ويبدو القمر للعين العارية بحجم كرة القدم .. ولكن يا لها من كرة ..!! إن قطرها يبلغ حوالي ألفين من الأميال أي ما يعادل المسافة بين بورسعيد ولندن ... فإذا أنت رأيت بعين الخيال كرة ضخمة معلقة في الفضاء يساوي قطرها المسافة بين بورسعيد ولندن فأنت إذاً قد شاهدت جسماً يقارب في حجمه حجم القمر ...!!

عالم ميت :

والآن دعنا نتساءل : هل يوجد فوق القمر أناس وحيوانات وأشجار ونباتات ، أم هو عالم ميت جدب لا حياة فيه ؟!

لقد تبين للعلماء وثبت لديهم أنه عالم ميت انعدمت فيه أسباب الحياة وصورها ، فليس فيه ماء ولا هواء . ومن الصعب أن نتصور مخلوقاً حياً يبقى بغير ماء ويحيا بغير هواء .

لا سحاب ولا جو :

وكنتيجة لانعدام الماء والهواء فوق القمر ، فليس هناك سحاب ولا جو كهذا الذي يحوطنا والذي يحمينا من حرارة الشمس المحرقة أثناء النهار ، ويحول دون فقدان الأرض لحرارتها أثناء الليل .

ففي خلال النهار القمري ، والذي يمتد إلى أسبوعين تسقط أشعة الشمس تواً على سطح القمر ، لا يخفف من حدتها أي حائل جوي ، وبذا يكون لها من الأثر ما يفوق أثرها فوق الأرض بعشر مرات .

وفي خلال الليل القمري الطويل ، والذي يمكث أيضاً أربعة عشر يوماً يفقد سطح القمر بسرعة ما جناه من الحرارة أثناء النهار ، وتنخفض درجة حرارته إلى حوالي ٢٥٠ تحت الصفر وهي درجة تكفي لتجميد الهواء ...!

ألبان القمر :

وهناك عديد من الفوهات الغائرة فوق سطح القمر ، ويعتقد البعض أنها نتيجة لتصادم نيازك هائلة بسطح القمر ، ويعتقد فلكيون آخرون أنها فوهات براكين خامدة .

وإذا نحن نظرنا إلى فوهات البراكين الأرضية لألفيناها أنها عادة تماثل في شكلها أكواباً عميقة ، بينما الفوهات الموجودة فوق سطح القمر تشبه أطباقاً ضحلة واسعة ، وأكبر تلك الفوهات ، والتي يطلق عليها اسم « كلافيوس » يبلغ قطرها مائة وثلاثة وعشرين ميلاً ، ومع ذلك فعمقها أقل من ميل ..!!

جبال القمر الخالدة :

ولننظر الآن إلى صورة أخرى من صور القمر البديعة ، ألا وهي جباله الخالدة الثابتة على مر الدهور والأزمان ... ما أبدعها وما أروعها تلك الجبال ! إنها ترتفع في الفضاء ارتفاعاً هائلاً يبلغ في بعض الأماكن خمسة أميال ، وما أشبهها بناقورات الوادي المسحورة التي تعصفها الزوابع الثائرة ... وإنها الجبال لها صفة الخلود ، لا تتهاوى على مر السنين ولا يأكل منها الدهر ويشرب كما هو الحال في جبالنا الأرضية التي تؤثر فيها عوامل التعرية من جليد وماء وأمطار ورياح ، فهذه العوامل الجوية المتباينة لا وجود لها فوق ذلك التابع ، ولذا جباله أبدية باقية لا تتعرض لأسباب الانحلال والبلى .

صخور القمر :

وينطبق هذا على سطح القمر كله ، فلا يحدث فيه أقل تغيير مع الزمن ؛ فبينما تتعرض صخرة على سطح كوكبنا إلى آثار الجو من ريح ومطر وعواصف وزوابع ، فتذبل صلابتها وتتهاوى عودها ، ويصيبها الانحلال والبلى بمرور السنين ، نجد أن صخرة قمرية قد تلبث خلال أحقاب عديدة متلاحقة دون أقل تغيير ، اللهم إلا تغير درجة حرارتها ، فتسخن حين تسطع عليها الشمس أثناء النهار وتبرد حين تغيب عنها وتغرب أثناء الليل ..

مرآة فضية هائلة :

وإن ضوء القمر الفضي البديع الذي نتمتع به في الليالي المقمرة فوق كوكبنا لهو انعكاس لضوء الشمس على سطح القمر . فهذا التابع جسم غير مضيء بذاته ، ولكنه كمرآة فضية دائرية ضخمة خشنة الملمس يستقبل الإشعاع من الورد الشمسي الهائل ويعكسه ويبعث به إلينا ...

التفاهم بلغة الإشارة :

وكما قلنا من قبل فليس في القمر ماء ولا هواء ، وليست هناك عواصف أو رياح ؛ وعلى ذلك إذا تصورنا أننا نعيش فوق القمر فلن يمكن لأحدنا أن يسمع الآخر لأن الأصوات ليست إلا أمواجاً هوائية ، فعلينا أن نتفاهم إذاً بلغة الإشارة !.

سماء القمر :

وسماء القمر سماء سوداء كالفحم تلمع فيها النجوم بنور ساطع ثابت غير مضطرب .

وقد يتساءل البعض : لماذا لا تبدو السماء زرقاء كما هو الحال في سماء الأرض ؟ إن السر يرجع إلى أن القمر لا هواء به — كما أسلفنا — بينما الأرض محاطة بجو ، وهذا هو العامل الذي يساعد على انتشار الضوء وتشتيته وتحليله ، فتبدو السماء زرقاء للناظرين ..

منظر غروب الشمس :

ومنظر غروب الشمس ، ذلك المنظر الجميل الممتع ، الحبيب إلى نفوس أهل الأرض ، لا وجود له فوق القمر ، لأن ألوان الغروب البديعة ليست إلا نتاجاً من نتاج الجو .

الأرض من القمر :

ولنتصور الآن أننا نعيش فوق القمر . فكيف ترى تبدو لنا الأرض ؟؟

إن للقمر وجهين أو جانبين أحدهما يبقى دائماً في مواجهة الأرض ، بينما الآخر بعيد عنها ... فإذا خطا أحدنا على جانب القمر المواجه للأرض فسيرى أبدع المناظر وأحلاها ... سيرى الأرض الأم معلقة في سماء القمر .. ثابتة لا تتغير

مكانها ويعبرها ضوء الشمس . وكما اعتدنا أن نفكر في القمر المكتمل ، فعلينا أن نفكر الآن في الأرض عندما تكون بدراً ! فهي تمر في نفس الحلقة من الفصول التي يمر بها القمر حين نراه من الأرض ، ولكنها تبدو أكبر وأشد لمعاناً .. ففي خلال الليل القمري حين تحل الأرض بدراً تبدو أكبر ثلاث عشرة مرة ونصف مرة من قمرنا المكتمل .. وحيث إن القوة التي تعكس بها الأرض الضوء توازي ست مرات من قوة القمر ؛ فإن « ضوء الأرض » المكتمل سيبدو لنا ثمانين مرة أشد وأكثر بريقاً من ضوء القمر ..!!

الشمس من القمر :

ويمكن من القمر رؤية اللهب الهائل من الغازات المشتعلة ، وهو ينبعث من الشمس على الدوام ، ذلك اللهب الذي لم يتح لعلماء الفلك رؤيته إلا في اللحظات القليلة من كسوف الشمس . فحين يأتي القمر بالمرور بين الأرض والشمس ، فإنه يمنع عنا ضوء الشمس ويتركنا في ظلام دامس ، ويسمى هذا « كسوف الشمس » ، ولا يستمر هذا الكسوف إلا لدقائق معدودات ، لأن الأرض والقمر يتحركان بسرعة هائلة ، فلا يلبث القمر أن يمر ، تاركاً مكانه مفسحاً المجال أمام أشعة الشمس لتأخذ طريقها إلى هذا الكوكب .

خسوف القمر :

وهناك أيضاً خسوف القمر ، ويحدث هذا حين تأتي الأرض بين الشمس والقمر ، فتمنع ضوء الشمس عنه ، وبذا لا يمكن لنا أن نراه من الأرض ، لأنه كما قلنا من قبل جسم غير مضيء بذاته يستمد نوره من الشمس ، وبهذا النور ليس إلا تتاح لنا رؤيته .

الخفة والسرعة فوق القمر :

ولنتحدث الآن عن شيء مدهش عجيب يواجهنا فوق القمر ..

إن الأرض تدور وتدور باستمرار ، ومع ذلك فنحن لا نسقط في الفضاء ، ومرد هذا إلى جاذبية الأرض ، تلك القوة التي تحفظنا في أماكننا على سطح هذا الكوكب .. وحيث إن القمر أصغر بكثير من الأرض ، فقوة الجاذبية هناك أقل ست مرات منها فوق الأرض ، فلو كنت تزن ستين كيلو جراماً فوق الأرض لبلغ وزنك هناك عشرة لا غير من الكيلو جرامات . وبهذا تكون حركتك خفيفة بلا أدنى مجهود ، فيمكنك أن تجري بسرعة تفوق سرعتك الأرضية ست مرات ، كما يتاح لك أن تقفز إلى ارتفاع يوازي ست مرات الارتفاع الذي يمكنك أن تقفزه وأنت على الأرض .

كرة القدم فوق القمر :

ولو تصورنا أن هناك فريقين يلعبان كرة القدم فوق القمر لوجب أن تكون ساحة اللعب أوسع ست مرات منها على الأرض ، لأن رمية الكرة تنطلق مسافة أطول بستة أضعاف عن مثيلتها فوق الأرض !!.

[illegible]

[illegible] ، رغم أنه عالم ميت جديب ، إلا أنه لا يزال تابعاً لكوكب الأرض .. إنه يتحكم في المد والجزر في بحارنا ومحيطاتنا .. وقديماً كان الناس يصدقون أن له تأثيراً علينا — ليس فقط — على عواطفنا وإنتاجنا ، بل على عقولنا وإدراكنا ..!!

جمال السيد محمد موسى



الخليل

للأستاذ عبد السميع المصري

— ٣ —

شعر الطبيعة وشعر القصص

أما شعر مطران في الطبيعة فمبعثه الحب العميق الذي يحسه الشاعر نحو الطبيعة الخالدة إلى حد التفاني فيها والامتزاج معها ، فلا يعود هناك عنصران مختلفان بل شخصان من عنصر واحد أو روحان متآخيان ، فاسمع إليه يتساءل عن صديق حياته النهر :

والنهر هل هو لا يزال كما — كنا لذلك العهد نألفه
يسقي الرياض زلاله عذبا — ويزيد بهجتهـا تعطفه
يطفي حيال السد أو يجري

متضايقـاً آنا ومنفرجا — متخللا خضر المسالك
متمهلا لتحيـة الشجر — متدانيا للشاطئ الشائق
اللاعب الأشجار والزهر

وهكذا فالطبيعة دائماً لديه روح حية تخاطبها وتخاطبه ويحدثها وتحدثه عنها وهي تشركه شعوره وعواطفه :

وفي الهـواء خفيق — تذوب منـه الصخور
وللنسيم حديث — في الروح منه سرور
وللأزاهر فكـر — يزوده عنهـا العبير

وفي قصيدة أخرى نراه يبعد في الخيال فينظم قصة حب بين وردة وزهرة من زهور الزنبق ويرويها في شعر بالغ منتهى الرقة :

تعلقت بي الأزهار في أمس نوبها
أنبهها جلها إلى المستقبل
أحاول سلوانا بشكل يلذه
فأذكر منهـا ما أشاء وأشكل
وما كنت ممن يجني عليها خلاقها
شغفاً ولكن جنة اليأس تحمل
إلى أن بدت لي وردة مستكينة
كأن دموع الفجر فيها تهلل
لها طلعة الحسناء للأول والصبي
وفي الوجه تقطيب لمن يتأمل
تلوح عليهـا الكآبة والأسى
مخايل دلت أين ترى فتخيل
ويكسبها معنى الحيـاة ذبولها
لدى ناظريها فهي في النفس أجمل
مليكة ذاك الروض جاور عرشها
من الزنبق الصافي مليك مكلل
تبينت غدواً عنهمـا فكلاهما
على بعد للوصل واللوت تمهل
فلا ... سعي ... اللقـاء إليهما
... أنه يخطبهمـا أو يعجـل
... ثم توقفـا
طويلاً كذلك الدهر يمضي وينقل
لقد جاورت هذي العروس أليفها
لأن هو ... العاطف أميل
فكان إذا مرت به نسمة الصبـا
يميل إليهـا عاطفـاً يتغزل
يناجيهـا جهد الصبابة والهوى
ويعرض عنهـا لاهيـاً ثم يقبل
ويرشف كل من جبين حبيبه
دموع الندى خمراً رحيقاً فيثمل
ولكنه لم يلبث الصبر أن فنا
فلم تثن عطفيه جنوب وشمأل
فشق عليهـا بينه وهو جارها
وباتت لفرط الحزن تذوي وتنحل

وقليل في ديوان الخليل الوصف الواقعي للطبيعة كوصفه لصيف الصعيد وحره :

أوقد الصيف في الصعيد لظاه
فأجف الحقول والأجمـا
وغدا الساري بين جو كثيف
متّقد من الغبـار غمـامـا
وفلاة كأنمـا الرمل فيهـا
شرر عدّ لجـة واضطرامـا
وكأن الضياء في الليل تجري
عبقات أبطأت ووجه تعامى

وقد أكثر مطران من كتابة الشعر القصصي ، وكان لنا منه فتح جديد في عالم الشعر العربي ، وقد اتخذ هو منه وسيلة للتعبير عن أحاسيسه الإنسانية وعواطفه الصادقة نحو الإنسان ، فاستمع إليه باكيا متفجعا وهو يروي قصة العوانس الشدولة التي ماتت مريضة بعد عام من زواجها في قصيدته (وفاء) وذلك على لسان زوجها :

بعت فؤادي بالزمان يحطمهـا
فإنك مرزوء الفـؤاد بأفجع
عروس لعـام لم يتم صرعتهـا
ولو شئت لم تصرب الخطي والمطمع
فباتت على عهد الشقي ما جنتها
هجوع ولا جفن بجـفـن يهجع
وكانت ريحـا في تابوت حرابي
من الزهر والشذو الرخيم المرجّع

إن مثل هذا الشعر ينم عن شعور صادق بالمشاركة في السراء والحزن ، وإنك لتجد منه أمثلة كثيرة كقصة (الجنين الشهيد) و (المنتحر) و (الطفل الطاهر) .

وليس كل شعر مطران القصصي أو قصصه الشعري فواجع ومآسي ، بل هناك نواح مشرقة مستملحة أشاد فيها الصبابة الحلوة الراضية كقصة (إن من البيان لسحرا) وهي قصة شاعر مذهب الحديث ساحر البيان نهت الفتيات عن الاستماع إليه ، لكنهن لم يعبأن بالنهي والسالي إليه خفية فأحد يقص عليهن من القصص ما سحر ألبابهن وأوقعهن في أسر بيانه :

سر الصـادري منبئا عن شاعر الحي زائر
فقصدنه وسخرن من زجر الأميات الزواجر
لـيرين فتنته التي تغوي الفتيات الحرائر
فوجدنه رجـلا على حا خلقه حسن الظواهر
لا شيء يفضح النهى فيه كما ادعت النواهي
فسألنه إنشـاد شيء من بدائعه الخواطر
فأطاعهن ومن ترى يعصي الجميلات الأوامر
فقعدن فيما حوله عقدا فريدا من جواهر
وتناول الرجـل الربا ب وفكره في الغيب ناظر
وأثار في الأوتار نغـ مزيدا كأن العود طائر
ثم انبرى يروي روا ية وتتبعه الخـواطر

* * *

ثم انثنين مكفكفات دمعهن عن المحاجر
متلفتات نحو من هو منه نمّ زل وشاعر
كل تقـول بلحظها بالنفس إن بلت عاص
ناف أنصفن الهوا صح ليس هذا غير ساحر

وقد وسعت شاعرية مطران الفياضة كل فنون الشعر الرومة ، فله في الوطنية قصائد كثيرة ، كان دائم الحنين إلى وطنه الأول الشام والتحدث به :

يا آل [illegible] سلام
بعد طول النوى وبعـد المزار
ولآلئ الفتاة من خريدات
مقرئات أو آنسـات بالتحايا
ذكريتي طفولتي وأعيـادي
رسم عهد عن أعين متواري

* * *

أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تمي بقية الأعصار
لكم الأرض خالدين عليها بعظيم الأعمال والآثار
فتشتم البحر يوم كان عصيا لم يسخر لقوة من جبار
وركبتم منه جوادا حرونا قلقا بالعراس الكواري

وهو يردد هذا الشعور في كثير من قصائده لا سيما إذا أحس آلام الاغتراب :

تذكرت مقترني خبا عن عشيري الأوفياء
بولاء طفـل لم يذق ألم الفطـام من الولاء

ولقد كان لا ينسى واجب الوفاء لوطنه الثاني الذي أحبه وأخلص في حبه الولاء :

يا مصر دار السعد والهناء
ومهبط الأسرار والإيحاء
عليك من هذا المحب النائي
سلام قلب ثابت الولاء
يهواك في السراء والضراء

ولم يكن مطران متخلفاً عن عصره ، بل كان يجد مادة شعره فيما حوله من بيئة وأحداث ، ولذا فقد سجل تاريخ حقبة من الحياة بكل ما فيها حتى مخترعات العلوم .

ولا شك أن الكشف عن أشعة (رنتجن) كان حدثاً في العلوم خطيراً ، وقد سجله مطران في شعره حيث قال :

خذتها عن ضياء خفي — يسري ويخترقه الزجاج
له قوة النفاذ لكنه — شرار من النار مطار
كالطيف من عالم الأثير — ما يعترضه لهب تأثر
كأن به العيون عيوناً — فكل خفي به ظاهر
يرينا الجسوم أشباح حقيقة — وزاياها عنها النظر
هيا كل محكمة شادها — ألطف ما شاد ذر

وإذا أضفنا إلى شدة حساسية الخليل حبه ووفاءه للأصدقاء ، علمنا السر الكامن وراء عشق الموت وأخذه لباله ، وهذا الجمع الصارخ إليها :

لقد قال يرثي أنطون الجميل :

يدعوك مقبل وأنت بعيد
بالأمس كنت تعوده وتعيده
عن العزاء على السقيم يلح في
أبناء التصويب والتصعيد
أأبا المروءة إن خطبك خطبها
أو لم تفارقها وأنت شهيد ؟
رزئتك طائفة يخال عميدها
ألفى بحزنها وأنت فقيد

وكان مطران إذا بلغه نبأ وفاة صديق من أصدقائه زلزل كيانه زلزالاً وبكى صديقه بالدمع السخين قبل أن يرثيه بالشعر الرصين ، وهو يحس ألم الفراق لما سيفقده في الصديق الراحل من صداقة ومن عطف يشعر معه بدفء العاطفة الذي يجد في طلبه المغترب ويحرص عليه ، وهو ما نحسه إذ نطالع رثاءه لنقولا توما :

وقف الزمان فما لوعدك موعد
وعدا المكان فما لعودك مورد
عن طلقة لك في الحياة وثبة
كالطفل إذ يبدو وإذ يتجدد
بالأمس كنت وأنت في أفق النقى
حق الشباب فكان منك الموقد
مات الوقود الأرضي ولم يجب
يوماً لنبه الصاحب المتوقد
في حرية غراء لم يلجم
شكوى عناك ولم يصد المورد
يا ربة سطعنا وأنت لطرفت آسي
منا مشاقات وشقت أكبد

أما رثاؤه لمصطفى كامل فقد طغت عليه الروح الوطنية وأحس معه بخسارة وطنية كبرى للشرق العربي قبل أن يحسها كصديق :

أبني مكانك الثلاثة وثيرة
ثم يطيب جواره بالمصطفى
قبر يرجى الأجر ما أصغته
حياً وكل وليد ما أصطفى
وجريت من دار الوجود لغاية
ومن الأسى الماضي تقتبل الصفا
فوردت وردك في الخلود منعماً
والأرض مائدة عليك تأسفا
لم تشهد قبلك أمة في مشهد
يذرو الرجال به المدامع ذرفا
يمشون من حول الجنازة خشعاً
بهم الرجيف من الشقاء مصرفا
نجم من الأحياء تحسب نعشه
فلك يظلله السواد مرفرفا
يبكون في آثاره الصدق الذي
آثره من رفعة لا تخسف
جزع الشقائق والهدم لمسلم
هو خير من وفى وأوفى من وفى

بكوا الرجى فى خلاف عارض
ليزيل ذلك العارض المتكشفا
واشتد رزء المسلمين وحزنهم
لما مضيت ولست فيهم مخلفا
من بعد كاتبهم وعبد خطيبهم
يُعلى لهم صوتاً وينشر مصحفا
قف أيها الناعى عليه جموده
فلقد تجاوزت المدى متعسفا

* * *

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها
وأرى ترابك من حنين قد عفا
وكأنى بالقبر أصبح منبراً
وكأنى بك موشك أن تهتفا
مصر التى غسلت يداك جراحها
بصبيب دمعك جارياً مستنزفا
مصر التى أحببتها الحب الذى
بلغ الفداء رباطة وتعففا
حتى مضيت كما ابتغيت مؤلفا
من شملها ما لم يكن إيلافا

* * *

من كان أقدر منك تصريفاً لما
يعيى الحكيم مدبراً ومصرفا
من كان أطهر منك خلقاً حانفاً
فيه معيب الطبع والمتكلفا
من كان أزهد منك إلا فى الذى
يجدى البلاد فتبتغيه ملحفا

* * *

لهفى على غر الصبى هادى النهى
عالى اللواء عن الرويبة والرفه
يا من حوى تلك الفضائل والعلى
أفنيت معظمهن قاعاً صفصفا
لالا وحقك يا شهيد وفائه
ورجاء كذب النعى وأرجفا

ما أنت بالرجل الذى يمضى وقد
ملء الوجود به وصيح قد عفا

* * *

والآن نحن لدى ثراك نحييه
متلهفين تشوقاً وتلهفا
شيخ وهل يوفى شأواك حقه
وأنى ألفاظ الجامد يكتفى

لقد أطلت الوقوف على هذا الرثاء لما يبدو فيه من روح الخليل السمحة التى تعالت على الصغائر ، ولما فيه من تسجيل رائع لشعور المصريين عامة لفقد مصلح كامل ، وما فيه من دفاع مجيد عن الفقيد وآرائه ، ورد على خصومه وشانئيه ، وإثبات لحقائق تاريخية من تاريخ مصر كدنا أن ننساها .

بقى كلمة أخيرة فى الحديث عن شاعرية الخليل ، وهى أن الخليل عندما تقدمت به السن قل فى شعره جموح العاطفة ، وغلب عليه التعقل والهدوء ، اللهم إلا أن تثير شجنه ذكرى ساعة أو زهرة باسمة حتى قال فى آخر عهده :

« تقرى صحف شاعر يتغنى
بتراجيع من بقايا الليالى »

ولذلك قلت استعارته الفاجئة وتشبيهاته الغريبة وتحليقه الجامح فى سماوات الخيال ، واستحالت النظرة الابتداعية المتشائمة إلى ابتسامة فيلسوف يرقب أحداث الحياة ويسجلها .

ومع ذلك ، فقد ظل مولعاً بالتصوير الشعرى يقدمه فى مراثيه فى نوع من الواقعية العجيبة التى يسمو بها الفن سمواً عظيماً لما يصاحبها من خيال خصب فسيح المدى كقوله فى رثاء الشيخ عبد العزيز البشرى :

شخص قليـل ظله طاوى الحشى
يمشى فلا تتوازن الكتفان
خفت ملامحه بسحنة أدمة
هى من « ومنا » إن شئت أو عدنان
وبعارضيه الحاجبين ولمة
شعثاء لم تسلم من الثوران

عبد السميع المصرى

قصــــة (ترلبي Trilby)

للكاتب (جورج دو موريه)

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

كان « دو موريـه » مؤلفاً ، وكان رجل فن ، ولد في باريس عام ١٨٣٤ ، وعشق درس الفنون ، وبعد موت أبيه عام ١٨٥٦ انقطعت برفاهه دراسته ، ثم عاد فاستأنف دراسة الفنون في باريس ، ثم في أنتورب .

وسافر بعد ذلك إلى إنجلترا حيث عمل في تزيين الكتب والمجلات الإنجليزية كمجلة (بنش) وغيرها بالرسوم والصور .

ومات في لندن عام ١٨٩٦ إثر نوبة قلبية ، وكان قبل ذلك قد تجنس بالجنسية الإنجليزية .

وهذه القصة نشرها الكاتب عام ١٨٩٤ ، وهي قصة تتحدث عن حياة الفنون والآداب في أنجلترا وفي الأوساط الأميرية في الجيل الذي سبق جيله ، بعضها مما صنعه وقد شارك في حوادثها ، ثم اختزنها في ذاكرته .

والصفحات الأخيرة منها تقوم مقام الخاتمة ، وقد كتبت بعد عشرين عاماً من تاريخ إتمام القصة ، وهي تعرض لبعض أشخاص كانت لهم في القصة أدوار هي في تمام الأهمية لما لها من الرواية فتنقص بانتهاء حياة (ترلبي) .

قال الكاتب :

في منتصف القرن الماضي كان « الحي اللاتيني » في باريس كعبة يحج إليها كل شادٍ من شداة الفنون ، ولا يزال هذا شأنه إلى يومنا هذا ! ففي يوم ماطر قد اعتدل هواؤه من أيام شهر إبريل كان ثلاثة رجال من الإنجليز يعملون في مرسمهم الذي أقاموه وأثثوه منذ زمن قريب في ميدان (سانتانول « راعي الفنون ») ، وكان أحدهم واسمه (ناكي) رجلاً طويلاً ، متين البنية ، صلب العضل ، وكان من أهل « يوركشير » ، وكان قد شارك من قبل في حرب القرم ، ولكنه لما كان يحس في نفسه ميلاً إلى الفنون لا قبل له بصده ، فقد ترك الجيش وولى وجهه شطر باريس ، وهو الآن يتخذ التصوير مهنة له .

وكان ثانيهم اسمه (لورد كوكبن) ، وهو وجيه اسكتلندي من أصل عريق ، دفعه ولعه برسم صور مصارعي الثيران إلى الرحيل إلى باريس .

وكان ثالثهم رجلاً حباه الله بدناً قوياً ، وحباه بالظرف والذكاء ، ففاق بهما صاحبيه الآخرين اللذين كانا يكبرانه سناً ، وكان اسمه (بالي) ، وقد تلقى تعليمه في البيت ، أما أبوه وأخته الأرملتان فقد كانا يعيشان في « يوركشير » .

وكان (ناكي) يحب (بالي) الصغير ، ويحنو عليه كالأخ ... وفي أصيل يوم من الأيام زار الثلاثة الإنجليز رجلان هما ... (سنجالي) وعريفه وصديقه (جكو) وكان هذا رجلاً غريب الأطوار .

أما (سنجالي) فقد كان طويل القامة ، وثيق التركيب يبدو من مظهره أنه من اليهود ، وكان رثّ الثياب ، رثّ الملبس ، يتكلم الفرنسية في طلاقة تشوبها لكنة ثانية ، وكان يسحر سامعيه إذا عزف مقطوعات (شوبان) .

وعلى حين غفلة من القوم سمع دقاً شديداً على الباب ، وتبعه صوت جهوري يقول : هذا اللبن ! ومشت إلى داخل البيت فتاة صغيرة ملتفة في رداء من أردية الجنود الفرنسيين ويبدو من ثنايا الرداء قميص قصير مخطط ، ونظر الرجال فرأوا وجهاً جميلاً ، ورأوا في مظهر الفتاة البساطة الطبيعية ، كما رأوا في حديثها الفكاهة الحلوة التي جعلتها تلقى التأهيل والترحيب أينما ذهبت .

وقدمت الفتاة نفسها باسم (ترلبي أوفيرول) وسرعان ما علموا أنها تعمل (نموذجاً) عند مصوري الحي ، وأنها

اشتهرت بجمال قدميها ، ولكن تدخل في الرجال السرور تغنيهم أغنية قديمة ، وهي وإن كانت تدرس في غنائها أصول الفن ، فإنها قد أدهشت القوم بجمال صوتها ، وبدا على (سفنجالي) بصفة خاصة أنه قد تأثر بهذا الصوت الجميل ، ومضى ينبئ القوم أنه معني بالغناء ، وأنه مولع بأن يصبح مغنياً .

وزارت (تريلبي) المرسم بعد ذلك مراراً ، فعلم القوم منها أن أباها وأمها قد ماتا ، وأنها تعنى بتربية أخيها الصغير ، وأن أباها كان رجلاً مثقفاً ، طيب الأرومة ، كريم المحتد ، وأنه أولع بالخمر فقضت عليه وأسلمته القبر ، وأن أمها كانت فتاة اسكتلندية كانت يوماً ما (خادمة) في باريس ، وعلمت الفتاة (تريلبي) لم تكن مبرأة من الشوائب .

وكان (سفنجالي) كلما رأى (تريلبي) في المرسم سألها إنشادها ، لتأذن له في تدريب صوتها ، ولكنها كانت تسخر منه ، وتهزأ بمهارته ، وكانت تراه بغيضاً ثقيل الظل .

وكلما زادت معرفة (تريلبي) بالرجال الأخر زادت أواصر الود بينها وبينهم ، فكانت تطهو طعامهم ، وكانت ترفو جواربهم أحياناً ، وكانت ... وكانوا يصحبونها في رحلاتهم إلى الريف ...

أما (سفنجالي) فما واتته الفرصة يوماً في التحدث إليها ، وكان يدعي الحب لها ، وكان يحدثها بقصصه التي تبعث الرعب ، ولولا فضل (بالى الصغير) و (تافي) على الفتاة لأنالها (سفنجالي) الشر ألواناً .

وفي ذات صباح كان (بالى الصغير) يسير إلى الفصل الذي تتخذ فيه الأجسام الحية نماذج للتصوير ، فإذا به يرى (تريلبي) تقف ليصورها المصورون وهي عارية ، فأسرع بالخروج من الفصل ، وبعد قليل أمسك به إخوانه وهو في طريقه إلى المحطة ، وكل ما استطاع أن يقوله تبريراً لسفره أنه ذاهب إلى (باربيزون) — وهي إحدى ضواحي باريس — ليصور مناظر للطبيعة هناك .

وبعد أيام حدثته (تريلبي) حديث وقوفها ذاك ، ثم لم تلبث أن أقلعت عن هذا العمل ، وعادت إلى عملها القديم عمل الغسالات .

وكان (تافي) وكان (اللورد) يعرفان أن (بالى الصغير) قد شغف حباً بتريلبي ، كما كانا يعرفان أن (تريلبي) مغرمة مستولية ببالى . وقد حدث — وهما يقضيان العطلة في البلاد — يطلب إليها أن تتزوجه فأبت أن تجيبه إلى ما طلب .

وفي يوم عيد من أعياد الميلاد طافوا معاً ببيوت أصحابهم حيث تعشوا وتغدوا . وقد بدأ العشاء في الساعة العاشرة مساء ، وظل القوم يسمرون إلى صباح اليوم التالي . وكانت فرصة مواتية لها حظرها وشأنها عند (بالى الصغير) ذلك لأنه اقترح يومئذ للمرة التاسعة عشرة أن تتزوجه (تريلبي) وفي عقب المرة أجابت بالقبول . ولأول مرة في حياته كان قد سكر .

وفي يوم رأس السنة كان (تافي) واللورد يصلحان في المرسم ، إذ جاءتهم ربة البيت تعلن قدوم زائرين . وكان أولهما والأخرى ... وبالى الصغير وصهرها ، ومعهما رجل من رجال الدين ، هو القس (توماس باجوت) .

... (اللورد) كما سألوا (تافي) أسئلة يقصدون ... وبينا القوم يسألون أسئلتهم ... (تريلبي) هي ... التي ...

وأحست الفتاة أن حبها الزواج ببالى الصغير كان خطأ كبيراً ، ووعدت أن تتخلى عن صاحبها . فما علمت (تريلبي) لكن أقلقت زوجة القس أنها جدة متعبة لأنها وعدت فما قبلت الشباب وهو في الحالة بين (تريلبي) و (بالى) .

وفي صباح اليوم التالي وصل خطاب من (تريلبي) إلى (تافي) وكان خطاب توديع تمس كلماته جوانب القلب . وقد ذكرت في خطابها أنها قد أخطأت ، وأنها أنها عازمة إلى باريس وفي صحبتها أخوها الصغير ، ولم تقل في الخطاب أين تتوجه وتمضي .

ولما عاد (بالى الصغير) إلى باريس وجد الخدمون بما جرى تساقطت نفسه غماً وأسفاً . وزفر زفرة كاد ينشق لها ، ومرض مرضة شديدة . فما أبل بعد شهور رجع إلى (ديفونشير) وفي صحبته أمه وأخته .

وانقطعت أخبار (ألى) وعلم (نال) بطريق غير مباشر أن أباها قد مات في آخر مرضه بالحمى التيفودية .

ثم انقضت سنوات خمس وإذا بالصور التي صورها (وليم باخوت) وهو الاسم المستعار لبالي الصغير قد حملت على بعض الدنيا في أندية الفن في أوربا . ولكنه منذ مرض لم يعرف الحب الطريق إلى قلبه . فقد ماتت تلك العاطفة التي اسمها الحب ، فلم يتزوج عاماً ولم يحب .

وفي تلك الأثناء كانت عواصم البلاد الأوربية قد جن جنونها إعجاباً بمغنية جديدة اسمها (لاسفنجالي) .

وفي باريس رأى (بالي الصغير) مرة أخرى في صحبة (اللورد) و (نال) وقد جاءوا ليسمعوها وهي تغني . وفي ليلة الغناء احتلوا مكانهم مبكرين . فلما بدأت جوقة الموسيقى رأوا أن عازف الكمان الأول هو صديقهم القديم (جكو) . وبعد قليل خرج (سفنجالي) يقود الجوقة وهي تعزف ، وكان يبدو عليه أن الزمن ، وإن مضى الرغيد ، قد كان لها أثر بالغ الحسن ... قد أحاله رجلاً بادي السعادة .

ولما رفع الستار برزت امرأة في جلابيب موشاة بالذهب على الطراز القديم ، وكان وجهها معروفاً بادي الشحوب . ولكن تبدو عليه آيات الحنان والرقة وأمارات الحلاوة والبساطة .

وكانت تلك المرأة هي (ترلبي) بعينها . وليس في مقدور الكلمات أن تؤدي وصف الأغاني الشجية التي كانت تلك المرأة تؤدي به مقطوعاتها ، ويبدو أن نوعاً من قوى الجن قد رفعت من شأن تلك الأغنيات القديمة الساذجة التي كانت تغنيها ، وكأنها في نغماتها وألحانها كانت تناجي حبيباً غائباً وتناديه .

وفي اليوم التالي بصرت عيني (بالي الصغير) بسفنجالي في مكتب البريد ، فلما قربا تقدم (بالي) إليه يحييه ، فكان جواب (سفنجالي) أن سبه وبصق في وجهه ، وفي تلك اللحظة كان (نال) يصعد السلم مسرعاً فبادر (سفنجالي) باللوم والقطع .

فلما عاد (اللورد) و (نال) إلى لندن لم يكونا يتكلمان إلا في أمر (ترلبي) ، وكان محبو الغناء في لندن ينتظرون ليالي غنائها بصبر نافد .

وقبل موعد الغناء شاع في الناس الخبر أن (سفنجالي) قد أصابه جرح قطع من مدية طعنه بها (جكو) أثناء إحدى المشاجرات العربية .

وفي ليلة الغناء ترقب الأصدقاء الثلاثة أن يروا (سفنجالي) يقود الجوقة الموسيقية كما كان يفعل ، ولكنه كان غائباً ، ولم تستطع الفتاة أن تؤدي دورها في الغناء مفقودة من قوم معلم (سفنجالي) ، وكانت هذه بعينه دماً (سفنجالي) الفتاة تنحط من قدرها ، وضج السامعون ، وكانت هذه آخر مرة من معالي تلك الرحلة ، فإنه ما كاد يغادر المسرح حتى وقع مغشياً عليه ومات لساعته بالسكتة القلبية .

وبعد ذلك أخذ الصاحبان (بالي الصغير) و (نال) (ترلبي) ، ولكن الأطباء كانوا من برئها آيسين ، وكانت تتحدث عن (سفنجالي) كصديق قديم ، وكانت تعلم إلى موتها أنها لم تحب في حياتها إلا حبيباً واحداً ، ذلك هو (بالي الصغير) .

وكان موتها مصيبة كبرى نزلت نزول النائبات على كل من عرفها ، ولكن (بالي الصغير) كان أشد الناس تجزعاً ، فبات لا يملك دمعه ، ولا يملك قلبه ، وما لبث أن لحق بها بعد قليل .

وبعد بضع سنين — وكان (نال) قد تزوج بأخت (بالي الصغير) — التقى في طريقه إلى باريس (جكو) فأنبأه عما كيف درب (سفنجالي) الفتاة (ترلبي) على الغناء ، فكان هو العقل المفكر ، وكانت هي الأداة التي تؤدي ما يلهمه ذلك العقل ، وبعد مران طويل أمكنه أن يحيطها بما يشبه الرقابة ؛ ولكن المران الطويل الشاق ، وما يحتويه الغناء من عناء وجهد قد أثرا بصحتها أبلغ الضرر ...

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم

معنى الحضـــــارة[1]

للأستاذ محمد سيد أحمد شريف

الحضارة اسم يطلق على جميع نماذج السلوك التى يكتسبها الإنسان من حياته فى المجتمع ، والتى يتبادلها الأفراد فيما بينهم ويورثونها لما يليهم من الأجيال ، معتمدين فى هذا النقل والتوريث على عدد من الرموز والمصطلحات الجمعية ، من أهمها اللغة والكتابة . ومن ثم فهى تشتمل على كل ما أنتجته الجماعات البشرية على طول التاريخ ، وهى بهذا لا تقتصر على اللغة ، أو الصناعة ، أو الفن ، أو العلم ، أو القانون ، أو الحكومة ، أو الأخلاق ، أو الدين فحسب ؛ وإنما تتضمن أيضاً جميع المظاهر المادية من منشآت ومؤسسات وغيرها مما تتجسم فيه المنتجات الحضارية ، وتستطيع الحضارة العقلية أن تؤثر تأثيرها الفعال عن طريقه ، وبهذا تعد من مظاهر الحضارة مختلف الأبنية ، والأدوات ، والآلات ، ووسائل المواصلات والأدوات الفنية ... الخ .

... ومن هنا يتضح لنا أن الدلالة الحديثة لكلمة « الحضارة » تختلف تماماً عن معناها التاريخى [illegible] رأينا — تشتمل على كل ما يمكن أن ينقل عن طريق اتصال الأفراد فى المجتمع ، واتصال المجتمعات بعضها ببعض ، ويتضح من هذا أنها تضم جميع اللغات ، والتقاليد ، والعادات ، والمؤسسات ، والنظم الاجتماعية . ولما كنا لا نعرف جماعة إنسانية إلا ولها لغة وتقاليد وعادات ونظم ومؤسسات ، فإن الحضارة تكون هى الخاصية العامة التى تتميز بها المجتمعات الإنسانية ...

... على أن من الجائز أن يكون هناك ظل من الحضارة فى عالم الحيوان ، أو على الأقل فى مراتبه القريبة من الإنسان ؟ ولكن لما لم تكن ثمة جماعة حيوانية ذات لغة منطوقة ، فإن الوسيلة الأساسية لنشر وتوريث حضارة مثل هذه الجماعة — إن كان لها حضارة — تكون قد انعدمت ، وبالتالى يحق لنا أن ننفى معنى الحضارة عن عالم الحيوان .

... وأصل الحضارة باعتبارها مميزاً من مميزات الإنسانية ، إنما يكمن فى هذه القدرة العالية التى يتمتع بها الإنسان ، وهى القدرة على التعلم من تجاربه وخبراته ، وعلى نقل ما تعلمه بواسطة رموز أهمها اللغة . والكشف والابتكار مما تعينا التعلم لدى الإنسان ، ونقل ما يكتشف وما يبتكر ، وتوريثه بواسطة عمليتى التعليم والتعلم يؤدى إلى نمو الحضارة واستمرارها لدى الجماعات ...

... ولما كانت الحضارة تنتقل بواسطة التعليم والتعلم — سواء كانا مقصودين أو غير مقصودين — فإن الجانب الأساسى من الحضارة إنما يكمن فى نماذج السلوك التى تتمثل فى تقاليد الجماعة ، أى فى معارفها وأفكارها ، ومعتقداتها ، وقيمها ، ومعاييرها ، والعواطف التى تسود فيها ، وبالجملة فى كل ما يمثل الجانب العقلى والوجدانى فيها ..

... أما الجانب المادى من الحضارة ، فهو عبارة عن مظاهر الحياة العملية ، أى فى كل ما تقوم به وما تنتجه وفقاً [illegible] العقل والوجدان ، ويتمثل هذا الجانب فى عاداتها ، [illegible] ومؤسساتها ... الخ . ولكن العادات ، والنظم ، والمؤسسات ، تكون فى معظم الأحيان تعبيراً عن أفكار الجماعة ، ومعتقداتها ، وقيمها ، وما يغلب عليها من مشاعر وعواطف . ومن ثم يكون صميم الحضارة فى جماعة من الجماعات هو المزاوجة بين أفكار هذه الجماعة وبين ما يكتنفها من ظروف الحياة ...

... وبهذا يكون تعريف الحضارة تعريفاً سلوكياً ، (أى بحسب ما يتمثل منها فى السلوك الظاهر للجماعات) تعريفاً ناقصاً ؛ لأن التعريف الجامع للحضارة يجب أن يتناول كلاً من مظهريها الذاتى والموضوعى . فالواقع أن حضارة جماعة من الجماعات الإنسانية ، إنما تتمثل فى كل من تقاليدها ، (وهى أفكارها ، ومعتقداتها ... الخ) وعاداتها ، (وهى التطبيق العملى لهذه الأفكار ، والمعتقدات ... الخ) ، مع ملاحظة أن التقاليد — وهى الجانب الذاتى من الحضارة — تعتبر هى العنصر الأساسى فيها .

محمد سيد أحمد شريف

---

(1) Fairchild : Dictionary of Sociology, pp. 50—51 (New York, 1944)



نقد الكتب

الثورة فى الصحراء

أو الثورة العربيـــة ١٩١٦ – ١٩١٨

تأليف لورانس ، وترجمة الدكتور رشيد كرم

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لا ترتبط صحراء العرب وثورتهم الكبرى ضد الترك فى سنة ١٩١٦ إلا « بلورانس » المشهور فى التاريخ الحديث باسم لورنس بطل الجزيرة ، كما أحب مواطنوه الإنجليز ... وليس هذا الاسم وحيداً فى التاريخ الإنجليزى الحافل بالرجال .. فهنالك « السير توماس لورانس » الرسام المشهور الذى توفى سنة ١٨٣٠ ، والذى أوصلته شهرته لأن يكون المصور الخاص لملك انجلترة . وهنالك « السير هنرى لورانس » الجندى والسياسى المشهور الذى شارك فى قضية الهند قبيل حركة العصيان فيها فى منتصف القرن التاسع عشر . وهنالك « د . هـ . لورانس » الأديب والقاص الإنجليزى المشهور الذى توفى سنة ١٩٣٠ ، والذى اشتهر بمجموعة من القصص أهمها « أبناء وعشاق » (سنة ١٩١٣) ، و « قوس قزح » (سنة ١٩١٥) ، و « عاشق الليدى تشاترلى » (سنة ١٩٢٨) ، والذى جمع الأديب الإنجليزى المفكر « ألدوس هكسلى » رسائله فى كتاب وقدمه لسوق الأدبية سنة ١٩٣٢ .

ولكن لورانس بطل الجزيرة يحمل اسم « توماس إدوارد لورانس » ، أو « ت . ا . لورانس » الذى غيّره فيما بعد إلى « توماس شو » فى سنة ١٩٢٧ ، أى بعد دخوله دمشق مع الملك فيصل تسع سنين .

وعجيب جداً أن يغير لورانس اسماً اشتهر به واقترن بجهاده فى الثورة العربية ، وردده شعراء البدو فيما بين جدة والعقبة وشرق الأردن وعمان ... وأن يختار بدلاً منه اسم « شو » ، وهو اسم مغمور غير مذكور .

ويستدعى هذا أن يتنازل لورانس عن ألقابه وعن رتبه وأوسمته ، وأن يرضى بعد سلسلة من المغامرات الخيالية أن يكون عسكرياً ميكانيكياً فى سلاح الطيران الملكى البريطانى ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى جندى بسيط فى سلاح الدبابات ... لا يهتف باسمه لسان ، ولا تطلب مشورته فى مؤتمر السلام ... ثم يقرأ الناس بعد ذلك أن الجندى البسيط « توماس شو » قد قتل فى حادثة من حوادث الطيران بلندن .. فيجهل الكثيرون أن « شو » هذا هو الشخصية العبقرية الفذة التى أقامت جزيرة العرب وأقعدتها ضد الأتراك ، والتى طوّفت بكل شبر من رمال الجزيرة ، كما تطوف الجن فى وادى عبقر السحيق ...

* * *

وكم كنت أود أن يقول الدكتور رشيد كرم شيئاً من أشباه هذا الكلام ، ولو فى مقدمة قصيرة يقدم بها ترجمته للكتاب يبلغ خمسمائة من الصفحات ... ولعل الدكتور رشيد تحرج أن يقدم لورانس إلى قراء العربية

بعد أن قدم لورانس نفسه في كل سطر من سطور الكتاب. فالكتاب — في الحق — هو مذكرات غير مؤرخة تماماً لأعمال قام بها المؤلف في خلال سنتين من سني الحرب العالمية الأولى؛ فلا غرو أن يكون ترجمة للمؤلف في سنتين من حياته التي يبدو أنها كانت مليئة بالأخطار والأسرار ..

وكتاب «ثورة في الصحراء» على طوله وضخامة حجمه هو في الحق مختصر للكتاب الكبير الذي ألفه لورانس بعنوان «أعمدة الحكمة السبعة»، والذي ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٦ في انجلترا فلقي من الرواج وتخطف الناس له وإقبال المترجمين على ترجمته إلى اللغات الأوربية ما حمل المؤلف على أن يقدمه إلى القراء موجزاً سنة ١٩٢٧. وظفر هذا الموجز بما ظفر به الكتاب المطول من رواج وإقبال، وتخطفته الجموع المتطلعة إلى استطلاع ما وراء الأفق في جزيرة العرب، أو المتلهفة إلى قراءة أغرب الأخبار وأعجب الأخطار ... وترجم الموجز إلى اللغة الفرنسية — كما ترجم المطول — وعن هذه الترجمة الفرنسية نقل صديقنا الدكتور رشيد كرم هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

* * *

ولا نسأل كيف ظل هذا الكتاب بعيداً عن القراء العرب قرابة ربع قرن، فلا يترجم لهم ولا يقدم إلى موائد أفكارهم؟... فالحمد هنا للدكتور رشيد كرم أولى من العتاب على الذين فاتهم ترجمة الكتاب كل هذا الزمن الطويل ..

والحق أن عثوري بترجمة الدكتور كرم لكتاب لورانس كان مفاجأة لي لم أملك نفسي عن العجب منها ... فالمترجم شاعر وأديب ولغوي وراوية، أعرفه عن كثب وأشهد له عن تجربة .. وأعرف أن الأقربين والصحاب والصحب لتيهه يوماً واتصافاً عن أن يجد في الشعر والأدب ظلالاً لروحه العلية ... أفما كان أحرى به أن يخرج لنا ديواناً من الشعر، أو فصولاً في النقد أو بحوثاً في الأدب بدلاً من أن يقدم لنا «لورانس» في مغامراته الحربية الخطيرة بجانب الأمير فيصل — الملك فيصل فيما بعد — ليثير شعور العرب ضد الترك ويؤلبهم عليهم ...

ولقد كان العرب يحلمون من وراء هذه الثورة أعذب الأحلام، ويمدون أنفسهم التواقة إلى الحرية بأطيب الأماني. فكأنهم كانوا مع الشاعر القائل:

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ولكنهم — مع الأسف — وقفوا ووقف معهم لورانس بعد مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ ليشهدوا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم خيبة «القوات The Powers» لتحقيق وعودها لحلفائهم العرب ...

ولعل هذه الخيبة المؤلمة هي التي حملت لورانس — كما يقول المؤرخون الإنجليز أنفسهم — على التنازل عن رتبته والتجرد من ألقابه والتنكر لماضيه لورانس ليبدأ ماضياً هادئاً جديداً تحت اسم توماس شو ..

وهنا فقط أدركت البواعث الخفية التي حملت صديقنا الدكتور رشيد على أن يقدم للعرب كتاب الثورة العربية ... لعل أولي الألباب يأخذون منه على قدر الفراغ ...

* * *

وفكرة «الثورة العربية» التي يزعم لورانس أنه اقتنع بها أول مرة بفضل هي «تقطيع أوصال الدولة العثمانية» .. ولدتها فكرة انجلترا نفسها .. التي أمدت العرب بكل شيء لتحقيق هذه الفكرة. وكان لورانس نفسه يرى أن يسلح العرب بالمدافع .. (إذ كان الكبير فيهم والصغير، من «فيصل» إلى الجندي الحقير، يرددون دون انقطاع: مدفعية! مدفعية .. ومنذ وصولي إلى هنا شعرت بارتياح شديد لاتساع نطاق العصيان .. فإن هذه القاطعة الصغيرة القليلة السكان قد تحولت إلى انتقاض حقيقي ضد تركيا بعد أن كانت نوعاً من السطو على القوافل) ص ٤٤

ولا أدل على اعتناق فكرة الثورة العربية في الضمير الانجليزي من قول لورانس إن الأميرال «ويميس» (كان لشدة ذكائه ولاتساع مداركه وعقله النافذ التفكير قد اهتم من أول لحظة بالثورة العربية، وكم من مرة كان يتوقف

يركبه على الشواطىء العربية ليقدم للعرب مساعدة ما في بعض مواقفهم الحرجة) ص ٤٦ .

على أن فكرة هذه الثورة لم تظهر فقط في سنة ١٩١٦ ، بل يصرح لورانس بأن السردار السير ونجت قد سر لتقريره (لأن الثورة العربية كانت على أهبة منذ سنين) ص ٤٧ .

وعجيب جداً أن لورانس يُغفل هذه الحقائق أحياناً ، ويغفل مساعدات انجلترة الفعالة في إشعال هذه الثورة ... ويذكر في ص ٢٩٠ (أن الترك أصبحوا يشعرون بالمضايقة والقلق .. إلى حد أنهم نسوا تدبير عصيان العرب إلى الانجليز .. وأنهم هم المحركون والمغذون لهذه الثورة) . يا سبحان الله ! كأن الترك وأحلافهم الألمان كانوا بلهاً عن حقيقة هذا العصيان الذي ينسبونه إلى الانجليز ...!! .

ولقد مدت الأيدي العربية الممدودة إلى التخريب والتدمير مدفوعة بسحر العصيان الذي كانت تزعمه لورانس — وقيادته — كل يوم اشتعالاً — حتى نظم العرب تفجير الديناميت لتخريب المنشآت التركية [illegible] — وهو عربي ثائر — (كان يحمل [illegible] الديناميت وعظم مفعوله ، وكان [illegible] الفتاك [illegible] لما استعمله لأول مرة .. وأخذته نوبة شعرية يمجد بقوة هذه الآلة الحربية) ص ١١٧ . وفي سبيل هذه الغاية لم يجد لورانس بأساً من التضحية ببعض العرب لبلوغ هدفه البعيد ويقول في ذلك : (وإذا كان فقد رجلين من رجالنا العرب أمراً يؤسف له ، إلا أنه لم يكن الوقت وقت حسرة .. فعلينا احتلال «معان» بأي ثمن كان ... ولكن يلذ لي أن أضحي بأكثر من اثنين من رجالنا العرب لبلوغ الهدف الذي نصبوا إليه ... وإن مثل هذه المواقف الدقيقة تبرر كل تضحية ؛ وكل غال يرخص أمام غاياتنا النبيلة) ص ١٦٧ .

وإذا كانت الثورة العربية في أول أمرها نوعاً من العصيان المرض فإنها اتخذت بعد ذلك سلاحاً خطيراً ضد تركيا وألمانيا معاً . وفي هذا يقول لورانس : (وكان الناس جميعاً ينظرون إلى العصيان العربي نظرة المتعرض دون قوم غزاة ! فكانت وسائلهم سلبية ، وكذلك واجباتهم وأطماعهم .. أما الآن فقد عدهم «الترك» من عوامل خطة هجومه التي لا يستهان بها ... وإن التشكيلات التي تقوم على ما كسب أولئك القوم صح مشروعاً فوق الأمر العادي ...) ص ٣٣٨ .

* * *

وفي سبيل الغاية اللورانسية .. أو الانجليزية ، لقي بطل المزيفة لورانس ألواناً من العناء في التوفيق بين العرب المتخاصمة والقبائل المتنافرة ، والشيوخ المتناحرة ... لأن الصلح بين هؤلاء السادة المتخاصمين هو ربح للوحدة العربية التي يسعى لورانس إليها ، حتى يقاتلوا تركيا صفاً كالبنيان المرصوص ...

فهؤلاء «الحويطيون» هم رجال حرب أشداء كثيرو العدد إلا أنهم أعداء [illegible] لأبناء عمهم «أبو تايه» لتشاجر [illegible] في أذهان «عودة» و «محمد» — ص [illegible] .

وفي سبيل هذا التأليف والتوفيق يقول لورانس : ([illegible] جماعات جماعات من غير نظام .. [illegible] ذهاباً وإياباً على طول الركب .. أكثر شيئاً حرماً ، مقطب الجبين ، وأتقدم إلى آخرين [illegible] فأوفق بين الجميع .. وأحاول تجنب المشاحنات والمناظرات ، حتى إذا جاء وقت العمل ودقت الساعة يكون المتحاربون متمكنين من جسيم العمل ...) ص ٢١٠ .

* * *

على أن ثورة طائفة كالثورة العربية لم يكن يكتب لها النجاح لولا ما أرصدته انجلترة حسابها من الذهب .. الذهب الذي لعب دوراً كبيراً في الصحراء .. ولا يخفي الكولونيل لورانس ضرورة الذهب لنجاح ثورة العرب في مواطن كثيرة من الكتاب . ففي ص ٣٧ يقول : (وبعد مرور زمن غير يسير وصلت إليهم كمية البنادق اليابانية قديمة غير صالحة تقريباً ، وصدئها من النوع الردئ ، فكانت تنفجر لأول طلقة في يد العربي الجاهل ... إلا أنه لم يصل إليهم

الذهب الذي كان أهم ما يعتمد عليه في الصحراء بين القبائل)

وفي ص ٤٣ يقول : (ولم يكن ثمة غير الذهب ليأتي بالمعجزات في الصحراء ، ويحفظ ذلك الجيش المشكل من القبائل الرحل مدة خمس سنوات متواصلة تحت السلاح) . وكان الذهب في يد الأمير فيصل — الملك فيما بعد — يبعثر ذات اليمين وذات الشمال ... ويصرح المؤلف فيقول : (وصل إلينا فيصل عشرين ألف دينار ذهباً ... وكانت هذه القيمة فوق ما طلبنا إليه لندفع أجور الرجال الذين تقدم في طريقنا ! ولتذكي نار الشهوة للذهب في قلوب الحويطات فيطوقونا بحماسة) ص ١٠٤ .

ولا تتعب أيها القارئ الكريم في البحث عمن كان يمد الثورة العربية بهذا الأصفر الرنان ... فإنك ستعرف ذلك في مثل قول المؤلف : (فانتزع « كلايتون » من الخزانة الحديدية ١٦٠٠٠ جنيه ذهباً وأمر بتسليمها) ص ١٨٥ . ولما وقف لورانس أمام « اللورد اللنبي » وصف هذا القائد قائلاً : (وإن هـذا السكان العربي [illegible] نفسه — لا يطلب — من اللورد طبعاً [illegible] ومقدار مائتي ألف دينار من الذهب ... لتثبيت أقدام المهتدين في عقيدتهم الجديدة وإدارة حركاتهم ..) .

وقد عرف لورانس كيف يسيل لعاب العرب لهذا المعدن الكريم ... فقد أغرى الثائر الكبير « عودة » ورجاله بمثل هذه العبارة :

(وإن الذي سيرسل إلى « العقبة » بنادق ومدافع ومتفجرات وذهباً !) ص ١٩٢ ، إلا أن البنادق في هذه المرة لم تكن من النوع الذي ينفجر عند أول طلقة ، لأن الخطة كان لها مصلحة أية مصلحة في أن تكون البنادق بيد العرب الثائرين ضد تركيا من أجود الأنواع ...!

وكانت مطالب لورانس الذهبية تحقق دائماً على وجوه الاستعجال .. وخاصة بعد نجاحه في اقتحام « العقبة » . اسمعه يقول : (وكانوا قد أرسلوا إلي من « العقبة » ثلاثين ألف جنيه ذهباً ...) ص ٣٣٢ .

والضمير في « كانوا » يعود بالطبع على الخائرة ، وإلى رؤساء الحركة التي كان مركزها « القاهرة » ... التي كان المؤلف دائم الاتصال بها .. فيقول : « كنا قد أبرقنا إلى القاهرة » . أو يقول في ص ٣٣٧ : (وكانوا في القاهرة خلال الأربعة الأيام التي قضيناها هناك يرسمون خططاً مهمة جداً) . أو يقول في ص ٨٢ : (وقد وعدتنا القاهرة — تحت تأثير هذه الأخبار الطيبة — بالذهب والبنادق والبغال والمتراليوز والمدافع ..) .

***

وفي خلال هذا السرد الشائق لسلسلة متتابعة من الحوادث المثيرة يظل لورانس مبدعاً في وصف العادات العربية والتقاليد البدوية ، ووصف المدن العربية وقراها ومساكنها وصفاً لا يملك القارئ نفسه من الإعجاب بدقته وروعته . على أن لورانس مبدع أيضاً في وصف الرجال : عرباً كانوا أم غير عرب ، ويكفي أن أحيل القارئ على أوصافه البارعة للشريف شاكر ص ١٦ ، ووصف فيصل ووصف [illegible] وشجاعته وعمراته ص ١٨٦ ، ١٨١ . ووصفه لأبناء الشريف حسين فيصل وعبد الله — الملك عبد الله — وعلي ، ووصفه العودة البدوي والفهد اللذين يمثلان أخلاق الصحراء ...

ولورانس مؤلف من طراز رفيع ، فهو حين يتوخى إملالاً في السرد يلقي إليك بفكاهة تسري عنك وتبعثك على المضي في القراءة ، كوصفه لجيوش الحشرات والبراغيث التي أرادت أن تجعل من جلده النائم صحناً شهياً لها ، ولم يشأ أن يكون كريماً معها — كرم العرب — إلى حد أن يقدم دمه طعاماً لهذه الضيوف الثقيلة .. ص ٣٥٦ .

وهكذا يمضي بك الكولونيل لورانس في خمسمائة صفحة من التاريخ والمذكرات والعادات خلال عامين في الصحراء ، فتشعر وأنت في جو من الترجمة العربية البليغة والأسلوب العربي المشرق للدكتور كرم أن أطراف الجزيرة كلها قد اجتمعت بين يديك وتحت ناظريك ...

محمد عبد الغني حسن



وداعا إلى غير لقاء

للأستاذ أحمد بدران

ودعها في تلك المساء وقد عزم على ألا يلقاها بعدها. وعندما أمسك بيدها وصافحها مرة رجلة، وأوشكت أن تفر من عينيه دمعة ولكنه أسرع فرفعها. ودعا لها سيارة لتحملها إلى منزلها. وكانت الليلة ممطرة والبرد قارساً والقمر متدثراً بالغيوم، فكأن الطبيعة تشاركه الأسى في تلك المساء. ونظر إلى وجهها الصغير [illegible] من خلال نافذة السيارة وقد علته طبقة من الماء. [illegible] ولوح لها بيده، ثم انطلق إلى المقهى [illegible] ثانية إلى المائدة التي كانا عليها يجلسان. والساعات تمضيان في الاعتذار [illegible]. وأطلق لفكره العنان ومضى يتذكر.

يا لله! أكان ذلك حقاً منذ ثلاثة أعوام؟ ما أسرع ما تمر الأيام! تمر في لمح [illegible] منذ ثلاثة أعوام كان مدعواً إلى حفل قران في النادي عند أسرة صديقة. ولم يكن كثيراً في الصخب، ولم يأنس في نفسه تلك الليلة ميلاً إلى الصخب والضجيج. كان مزاجه يومها أقرب إلى الحزن دون سبب، وكان ضجراً في هذه الأكوام من الشركات والحفلات [illegible] لم ينظر فيها منذ أسابيع. لكنه خشي لوم الأسرة الصديقة وغضب العروس الصغيرة وقد كان يعتبرها له أختاً، فحزم أمره ومضى إلى النادي... إنه ليسائل نفسه الآن: كم تتوقف الأمور الجليلة على الصدفات الصغيرة؟ ترى لو لم يذهب في تلك الليلة... ولكنها الأقدار كانت تعد له يومها حدثاً كبيراً...

ورآها هناك... كان جالساً وحده في ركن قصي يرقب الراقصين والراقصات يتمايلون على نغمات الموسيقى، وأبى عقله إلا أن يتفلسف.

أيها الحب الذي يجمع فتاة في قوة كأنها لا شيء يستطيع أن ينزعها منك [illegible] بعد [illegible] سيمضي هذا الشعور [illegible] وهكذا في الحياة دائماً... [illegible] عدم الوفاء! [illegible] هذه الفتاة الفاتنة ذات الثوب الأسود، إن فتنة الجسد الأبيض لا يبديها مثل إطار أسود. حذار أيها الغريب من هذه النظرات التي تصوب إليك كالسهام الريشة من هذه العيون النجل ذات الأهداب كأسنة الرماح. إنها سلاح المرأة منذ الأزل، كم أغريت بها، كم صدت وكم فرقت وأبعدت، وكم أحبت وكم صرعت...

ولكن صوتاً يهمس في أذنه: وأين أنت؟.. في أي واد سحيق؟ يا سيدي نحن هنا. وكانت رنة الطير تقول: أنت تعلم وحيداً! ولكن الذنب ذنبي، وما أكثر [illegible] في الحال، هذه فاتن سأقدمها إليك، فحذار ألا تعرفها!

يا إلهي! كيف غابت عيناه عن هذه الفتنة من قبل؟! وكانت قيد خطوات منه... وقال لها:

— هل اسمك هو فاتن حقاً؟

فأجابت وهشة :

— نعم !

قال : عرفته منذ وقت ؟

قالت في سخرية : أو بعدها بأيام !

قال : وكيف عرفوا وقتها أنك ستصبحين فاتنة ... ؟!

أجابت وقد ضمت شفتيها الصغيرتين في عند وصوبت إليه عينين كأنهما مرتا عيون البقر : هل أعد هذا غزلاً ؟

قال وهو يتكلف الجد : إذا شئت .. ولكن قومي بنا إلى حلبة الرقص .

وكان وهو يراقصها يطيل التأمل وبصره حائر بين ذلك الجبين المشرق الذي يشع نوراً يضيء ما حوله .. وهذه الأجفان التي تلقي على الوجه ظلالاً فاتنة ، وهذا الفم تحيط به شفتان رقيقتان مضمومتان في قوة كأنما تحرسان خطراً أمامنا أو تحرسان صفين من اللآلئ الناصعة ، وهذا الشعر الذهبي يلف بوجه كريم في تموجاته ، والزهرة الحمراء التي يضعها في شغف ترى أهو ذلك اللابس الجميل الذي يسعد بهذا الثوب الأنيق ، أم هو الثوب يزهو زهوة بما يحويه من جمال ! لكأنما هي الجسد ذلك الثوب تحقيق أمنيته ، أو رضا الثوب فكان في موضعه لسعادة لشعوره ..

وتوقف العزف وقالت ربة الدار : هاكم أيها الأصدقاء والصديقات مفاجأة صغيرة ... إن الآنسة فاتن ستغني لنا مقطوعة بكل من اللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، ونظر إليها وقال : أنت ؟ أجابت : يبدو ذلك . واتجهت إليها الأنظار ، واشتد التصفيق ، وغنت في كل صوت رائع حنون أطربه وملك عليه حواسه ... اسمعوه وهي تنشد من شعر شوقي :

جحدت عيناك زكي دمي ... أكذلك خدك يجحده
قد عز شهودي إذ رمتا ... فأشرت لخدك أشهده
بيني في الحب وبينك ما ... لا يقدر واش يفسده

ما كان أحرى هذا الحديث أن يوجه إليها .

ونظرت إليه رانية وهي تغني بالانجليزية :

أحبني ... أحبني إلى الأبد ... ودع الأبد جانباً

ثم ابتسمت له وهي تقول في أغنية فرنسية :

الحب ... الحب ... هو سيد متعالٍ ... ولكنه خادم مطيع ! .

ولما انتهت من غنائها أحس بأنه يريد أن يخلو بنفسه ليفكر فيها ، فهو لا يدري ماذا حدث له الليلة . لقد قلبت له هذه الفتاة حياته رأساً على عقب ، وتسلل إلى الشرفة البارزة وأغلق الباب وراءه ، ورأى القمر ينظر إليه في رفق وحنان وأشعته الفضية تنعكس على صفحة ماء النيل في منظر شاعري يأخذ بالألباب ، وضوؤه إذ يتسلل من بين فروع أشجار الحديقة فتبدو كأنها العقود الفضية ... لكن الباب فتح ... وكانت هي . وقالت له ضاحكة : وقل لي أيها الحبيب أنت شاعر ... ؟ » .

— ... أبداً ولكنك جعلتني هذه الليلة شاعراً !

— ولكن لماذا جئت إلى هنا ؟ ..

— ... هروباً من الصخب والضجيج .. ولم أعلم طبعاً أنك هنا .

— ولكن الصخب والضجيج ما زال يلاحقنا هنا تعالَ معي ..

وأمسك ذراعها وقادها إلى ركن قصي في حديقة الدار وجلس إلى جانبها وقال : أريد منك أن تحكي لي الآن كل ما تخفينه هناك !.

— ولكني لا أستطيع ... إني متعبة ..

— ولكني أصر على ذلك ...

— أتصر ؟ إنك تخاطبني بلهجة غريبة ... يظهر أن من عرفتهن قد دللنك أكثر من اللازم فاعتدت أن تنال كل ما تريد ... ولكني لن أجيب طلبك ..

— في هذه الحالة لن أدعك تنصرفين ، وكم يسرني أن نقضي ما بقي من الليل هنا إلى الصباح ..!..

وعدت له وجهه ، ولما أتت عاصمتها أعادها بجرأة ، وقالت غاضبة :

— إنك لجريء .

أجابها في مثل لهجتها : إن كنت لا تريدينها فردّيها إليّ في الحال . . . .

فضحكت . . .

ثم إنه يذكر هذا اللقاء الأول ، يذكر كل لحظة فيه ولن ينساه أبداً ، وهو يذكر بعد ذلك كل ساعة قضياها سوياً في الأعوام الثلاثة التي مضت كأنها الحلم . . . وهو يذكر المرات القليلة التي اختلفا فيها ، ثم ذات يوم مشمس من أيام الشتاء . كانا يجلسان في جزيرة الشاي ، وأخرجت من حقيبتها صوفاً ومضت تعمل . سألها عن هذا « البول أوفر » ؟ وتحايلت فقالت : كلفتني إحدى صديقاتي أن أنسجه لأخيها . فتناوله منها في هدوء ، وألقى به في الترعة التي تحيط الجزيرة ، ووجمت هي لحظة ولكنها لم تقل شيئاً حتى هما بالانصراف ، فسألته في هدوء :

— هل تثق بي ؟.

فأجاب :

— أكثر مما أثق بنفسي .

قالت : كان الـ « بول أوفر » لك ! .

ومرة أخرى كانا يجلسان في ذلك المقهى الذي يطل على النيل ، وقال لها فجأة : أريد أن تهدي إليّ صورتك .

قالت : ولكنك تراني في كل حين ، فما فائدة الصورة . . . ثم أنت تعلم ما تجره من قلق ومتاعب . .

فقال لها : اسمعي . . لقد سألتني ذات ليلة هل أثق بك وعرفت إجابتي ، وأنا اليوم لم أسألك هذا السؤال ، ولكني عرفت إجابته ، وأنا على أي حال أشكر لك حسن رأيك فيّ .

وقاما لينصرفا وقد خيم عليهما الصمت ، ولكنه سمع صوتها أول شيء في الصباح في التليفون تقول : اعذرني إذا كنت قد أغضبتك . ولكنه أمعن في الرفض وأصرّ على ما طلب ، وكان له ما أراد ، وقدمت إليه مجموعة كبيرة من صورها لا صورة واحدة . . .

ثم يستعيد ذكرياته مسرعاً حتى يصل إلى الليلة الماضية ، حين زارته سيدة جميلة ، فيها من فاتن شبه كبير ، وجلست ثم قالت : إنك لا تعرفني ، ولكني أعرف عنك كل شيء من قبل ، أعرف ملامح وجهك ، وألوان جميع ربطات عنقك ، وأي الأماكن تحب وأيها تكره ، وكم قالباً من السكر تضع في فنجان الشاي ، أعرف كل هذا ، لأن فاتن أختي ، ولم تكن تحدثني طوال الأعوام الثلاثة الماضية عن شيء إلا عنك ، قصت عليّ كل شيء ، وقد جئت إليك دون علمها أتحدث إليك . . أنت تعلم أن فاتن مسيحية ؟ فاجتماعكما بعقد مقدس أمر مستحيل ، طبعاً أنت تعرض أن تتزوج منها ولو اختلفت ديانتها ، ولكنا من أسرة محافظة في التقاليد ، شديدة التمسك بالتقاليد ؟ فمن المؤكد أنها لن تقبل هذا الزواج ، وقد تهجر هي أسرتها من أجلك ، ولكن هل تقبل أنت هذا الوضع ؟ قد يبدو لك الأمر اليوم سهلاً ، ولكن إذا مضت السنون وآن للعاطفة المتأججة أن تهدأ — وهذا شيء لا بد منه — فسترى أنك أخطأت ، وسترى هي أنها ضحت بالكثير ، ولن تشعر بالسعادة قط وهي منتزعة من أهلها ، وستكون في ذلك تعيس حياتك أيضاً ، وبعد فهذا هو الوضع ! ولقد تقدم إليها الكثيرون ، ولكنها رفضتهم جميعاً ، وأنا أعرف السبب في رفضها ! فهو أنت . إذا كنت تحبها حقاً يا سيدي كان عليك أن تضحي من أجل سعادتها وتتركها ، فهذه الأعوام تمر . وأنا أدرك فداحة ما أطلب منك ، ولكني أركن إلى نبلك وكرم خلقك ، وأترك لك بعد ذلك الأمر . . .

وأفاق من أحلامه ، ورأى المقهى يغلق أبوابه ، فمضى منصرفاً حتى إذا وصل إلى منزله جلس يكتب :

« فاتن . . . اغفري لي . . . سأتزوج قريباً ، فلن أستطيع بعد الآن أن أراك . . وداعاً . . . إلى غير لقاء » .

وانحدرت من عينيه دمعتان ، مسحهما في رفق .

أحمد عبد الله

من صلوات الشاعر الغريب :

جحود ...

هل كان قلبي سوى قربان فنان
أو كان شعري سوى قرآن وجداني
واضيعتاه لمن الحب بينكم
يا أمة خلقت من غير ميزان ... !
واضيعتاه لأشواقي وأخيلتي
ما بين عباد أصنام وأوثان
مالي أغني فلا يهتز سامركم
على اهتزازات أغاني وأوزاني
أنا الذي يرقص الآباد مزهره
ويشتق النور والظلماء في بياني
مالي أغني فلا يشجي بكم أحد
كأنني هاتف في سمع صوان
وكم طرحت لأصداء مشردة
من نحو يوم ومن شعب غرثان
حلم يشكرني قومي والكرم
كأنني في سوى قومي وأوطاني
حتام أحيا كالمسموم من ظمأ
والنبع قربي يسقي كل ظمآن
يا لائمي ... وأنتم حبل مشتنقي
وعاذلي ... وأنتم نسج أكفاني
تحلوا بأيديكم الأغلال عن عنقي
فالفن ما كان يوماً ذنب فنان
لا تنزعوا ريشة الإبداع ملء يدي
فتخلطوا بين أصباغي وألواني
لا تحرقوا صلوات الفن في شفتي
فإنها ملك أجيال وأزمان
لا تحرموني حقي في ممالككم
لربة الحس ما حس غير الحسان

وربما حلقت في الأفق قبرة
وعطرت زهرة أرجاء بستان
لكن غداً سوف يجري كل ذي أذن
غداً ... متى مُررت آذان عميان
أن الذي فجر الإلهام في أفقي
قد عاد أن تصيره نار حرماني

محمد مفتاح الفيتوري

النيـــل

يا نيل ! من نبعك في الجنوب
ومن مدار النار واللهيب
وراء خط الأزل العجيب
ومن مجرات الشقا والطيب
تحمل — غدا — كآبة الغريب
رسالة قصصاً بلا حبيب
[illegible] من قريب
ترغم مصر النضر الخصيب
إلى مصب الأبد الرهيب
البحر ذي الثورة والشبوب
وأنت يشق أكرم الشعوب
يضم مجرى مائك المسكوب
كالنور من شرق إلى مغيب
أو خطرات الشاعر الموهوب
يرسلها صافية التذويب
أشهى من الخمر أو الحليب
لنا ، أحلى من رجع الكروب
شوق إلى منافذ القلوب
في حضرة الإدلاج والتأويب
شوق حبيب نائي للحبيب !

***

يا نيلُ ! كم من سرٍ عجيبِ
يروى حديث مجدك الطليبِ
فى صفحاتِ سفرك المكتوبِ
وسيرك الأثور عن أيوبِ
وقصة الغالب والمغلوبِ
ووقفة الغاصب المغصوبِ
يرشفه بالحسر واللاوبِ ..
ويحمى الحر من الرتيبِ
ويرتمى فى ثوبه القشيبِ
لم يخشَ منه ثورة الغضوبِ
ولا اشتداد الوقفِ العصيبِ
فى عاصفِ الأمطار والهبوبِ !

***

يا نيلُ ! يا مرى الشعوبِ
. ومخرج الأبطال للحروبِ
مالكا أعنة الدروبِ
سهول مصرَ أو جبال النُوبِ
تعيك خوف الصدع والتشعيبِ
وتحت تاج (الملكِ) المحبوبِ
يهمُ للنهضة والوثوبِ الله مؤلف القلوبِ !

عامر محمد بحيرى

جامعة إبراهيم باشا الكبير

إعلان

عن وظائف كتابية خالية

تعلن جامعة إبراهيم باشا الكبير عن حاجتها إلى تعيين كتبة بالإدارات المختلفة بها ، وفيما يلى شروط التعيين :

أولاً : أن يكون المرشح مصرى الجنسية لا يزيد عمره على ٣٠ سنة ، ولا يقل عن الثانى عشرة سنة .

ثانياً : أن يكون حاصلاً على إحدى الشهادات الآتية :

١ — دبلوم مدارس التجارة المتوسطة .

٢ — شهادة الدراسة الثانوية القسم العام .

٣ — شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص (التوجيهية) .

ثالثاً : أن يجتاز الكشف الطبى أمام القومسيون الطبى الملم .

رابعاً : أن يكون مستوفياً جميع مسوغات التعيين .

ويكون التعيين فى الدرجة الثامنة أولا مرتبهم على حسب الشهادة الدراسية .

فعلى راغبى التقدم لهذه الوظائف تقديم طلب استخدام على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . مرفقة بالشهادة الدراسية المنوه عنها ، وشهادة الميلاد ، أو مستخرج رسمى ، وصورتين شمسيتين مقاس ٦ × ٨ سم .

وترسل الطلبات باسم حضرة صاحب السعادة سكرتير عام جامعة إبراهيم باشا الكبير بمبنى معهد التربية للمعلمين بالمنيرة (١٦ شارع أمين باشا سامى) فى ميعاد لا يتجاوز ٢٦/٨/١٩٥٠ . ٥٦١١

المؤتمر الثقـــافى العربى الثانى

هـذا المؤتمر هو المؤتمر الثانى الذى تدعو إليه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربيـة ، وتشترك فيـه وفود الدول الرسمية تمثل وزارات المعارف العمومية العربية والجامعات الرسمية والأهلية ، كما دعى إلى الاشتراك فيه لفيف من رجال التربية الممتازين ، وأبيح الانتساب إليه للأساتذة والمدرسين والمدرسات فى مختلف الأقطار العربية .

وقد بلغ عدد المشتركين فى المؤتمر زهاء أربعمائة عضو من بينهم حوالى مائة مدرسة من مدرسات المدارس الثانوية والعالية فى مختلف الأقطار العربية ، وقد لوحظ أن الضغط كان شديداً من المشتركات فى سوريا ولبنان ، وهـذا دليل واضح على تقدم الحركة الفكرية والثقافية بين نساء هذين القطرين ، ولولا القيود المفروضة فى تحديد الأماكن الخاصة بإقامة الأعضاء لكانت الإدارة الثقافية قد لبت كافة الطلبات الكثيرة من المشتغلات بالتربية والتعليم فى هذين القطرين .

وكانت جامعة فاروق الأول بالاسكندرية صاحبة الفضل فى إعداد مكان انعقاد المؤتمر بمبنى كلية الآداب بالشاطبى وإعداد أماكن السكنى المجانية لمعظم المشتركين والمشتركات من الأقطار العربية .

ومدار البحث والمناقشة العامة فى هذا المؤتمر موضوعان هامان من المواضيع الهامة التى تشغل أذهان رجال التربية فى مختلف أرجاء العالم وخاصة فى الأقطار العربية فى الآونة الحاضرة ، وسيشترك فى بحث هذين الموضوعين بحثاً تفصيلياً كافة أعضاء المؤتمر من رسميين وغير رسميين ، بيد أن هناك مسألتين سيقتصر بحثهما والاهتمام بهما على الممثلين الحكوميين دون سواهم ، وهاتان المسألتان هما :

١ — بيان الخطوات التى اتخذتها كل حكومة من الحكومات العربية فى سبيل تنفيذ قرارات المؤتمر الثقافى العربى الأول .

٢ — دراسة التقارير التى وضعتها وزارات المعارف العربية عن الأحوال والاتجاهات الثقافية والتربوية السائدة فى كل قطر من الأقطار العربية .

والمؤتمر جانبه الثقافى العام فضلا عن جانبه الفنى الذى أشرنا إليه آنفاً ؛ فهنالك محاضرات عامة فى شئون التعليم والتربية كلف بإلقائها أيام انعقاد المؤتمر لفيف من رجال التربية الممتازين ، وقد حددت للمحاضرات العامة مواعيد تقع بعد الفراغ من أعمال اللجان التى سوف تستمر صباحاً وبعد الظهر حتى الانتهاء إلى القرارات والتوصيات اللازمة .

والمؤتمر كذلك جانبه الاجتماعى الذى من شأنه التخفيف من ضغط الجو العلمى المتصل الحلقات ، فقد أعد برنامج للرحلات والمشاهدات والحفلات الشائقة .

ولا شك أن أهم ما نستخرجه من هذا المؤتمر هو أنه يتيح لعدد كبير من أبناء الأقطار العربية فرصة زيارة مصر والتعرف إلى معاهدها ومعالمها ، كما يتيح لهم الاجتماع بإخوانهم المصريين فى صعيد واحد ، وفى ذلك خير فرصة لتبادل الآراء وتلاقح الأفكار وتمازج وجهات النظر ، وهذا هو الكسب الحقيقى الذى يعود بالخير على الثقافة والتعليم فى البلاد العربية .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر